القرصنة وأثرها في التواصل الحضاري. الفايكنج (النورمان) أنموذجاً (١٧٣ـــ٥٩١هـ/٧٨٩ـــ١١٩٤م).

د. يوسف عبدالحميد بن ناجي
أستاذ مساعد(تاريخ الحضارة العربية الاسلامية)
الهيئة العامة للتعليم التطبيقي و التدريب–
كلية التربية الاساسية–قسم الدراسات الاجتماعية

الملخص:

تأتي أهمية هذه الدراسة في كون القرصنة إحدى مظاهر العلاقات بين الدول وبعضها البعض، وفي كونها أيضًا إحدى معابر التواصل بين الحضارات، ففي الوقت التي كانت فيه القرصنة قائمة على السرقة والنهب وقطع الطرق البحرية، والأعمال العدائية، ومن أبرز المشكلات التي واجهت البلدان، وكانت سببًا في قيام الحروب بينها، وقيام بعض الدول، وسقوط أخرى، كانت أيضًا معبرًا من معابر الحضارات بين نفس الدول، لذا تأتي أهمية هذا الموضوع في التعرف على كافة جوانبه كأحد الموضوعات الهامة التي لم تلق اهتمامًا من الباحثين على حد علمي.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على جمع المعلومات وتحليلها، ثم استخلاص النتائج.

أهداف الدراسة:

- التعرف على مفهوم القرصنة ونشأتها وتطور مفهومها، والدوافع المختلفة لها.
- إبراز أثر القرصنة في التواصل الحضاري بين الدول.

خطة الدراسة:

سوف أتناول هذا البحث من خلال الآتي:

– التعرف على مفهوم القرصنة ونشأتها وتطور مفهومها.

- الفايكنج (النورمان) أنموذجًا للقرصنة والتواصل الحضاري.

أولًا: نبذة تاريخية مختصرة عن الفايكنج (النورمان) من حيث الآتي:

ـ أصلهم، موطنهم، الأسباب التي دفعتهم إلى الخروج من بلادهم.

ـ الأدوار التي مرت بها علاقة الفايكنج بأوربا.

ثانيًا: الفايكنج وغاراتهم على أوروبا (فرنسا، إنجلترا، أيرلندا، الأندلس، صقلية).

ـ التواصل الحضاري للفايكنج (النورمان).

١ـ مع أوربا المسيحية.

٢ـ مع المسلمين في الأندلس وصقلية.

ـ نتائج البحث.

Research summary

1-Study Title

Piracy and its impact on civilizational communication during the Middle Ages. Vikings (Normans) as a model

2-Study problem

The importance of this study lies in the fact that piracy is one of the manifestations of relations between states and each other. Also one of the crossing points of communication between civilizations, at a time when piracy was based on theft, looting, cutting off sea routes and hostilities. It was the most prominent problems that faced countries, which was caused of the outbreak of wars between them, and the rise of some countries, and the fall of others, was a crossing point of civilizations between the countries themselves. The importance of this topic comes to identify all its aspects as one of the important topics that did not receive attention from researchers to the best of my knowledge. .

3-Study Approach:

The study relied on the analytical inductive approach based on collecting and analyzing information, and then drawing conclusions.

4-Objectives of the study:

Learn about the concept of piracy, its origins, the evolution of its concept, and the different motives behind it.

Highlighting the impact of piracy on cultural communication between countries.

Study plan:- 5-

I will address this research through the following:

Learn the concept of piracy, its origins and the evolution of its concept.

●Vikings (Normans) as a model for piracy and civilized communication.

First: A brief history of the Vikings (Normans) in terms of the following:

- Their origin, their homeland, the reasons that led them to leave their country.
- Roles in the relationship of the Vikings to Europe.

Second: The Vikings and their raids on Europe (France, England, Ireland, Andalusia, Sicily).

- Civilizational Communication of the Vikings (Normans).
- Christian Europe
- the Muslims in Andalusia and Sicily

- التعرف على مفهوم القرصنة ونشأتها وتطور مفهومها.

أولًا: مفهوم القرصنة.

القرصنة في اللغة:

القرصان لص البحر، والقرصنة لغة: السطو على سفن البحار(١).

واصطلاحًا: هي اعتداء مسلح يقوم به طاقم سفينة في أعالي البحار على سفينة أخرى بقصد النهب والسلب(٢).

يقصد بالقرصنة في هذه الدراسة: قيام مجموعة من البحارة الفايكنج (النورمان) بأعمال العنف غير المشروع الموجه ضد بعض الدول الإسلامية وغير الإسلامية في أوربا خلال العصور الوسطى، لتحقيق منفعة اقتصادية أو سياسية.

ثانيًا: نشأة القرصنة البحرية.

مرت نشأة القرصنة بعده مراحل:

المرحلة الأولى: تشير بعض الوثائق إلى أن استخدام اسم القرصنة لأول مرة كان منذ حوالي (١٤٠) سنة قبل الميلاد(٣).

وقد تزايدت أعمال القرصنة البحرية، وحدثت غارات متكررة من القراصنة على السفن التجارية اليونانية في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، وأصبحت تدفع فدية مقابل إطلاق سراح بعض التجار اليونانيين، وفي حوالي القرن الثالث قبل الميلاد لجأ بعض حكام المدن الساحلية على البحر الأبيض

---

(١) إبراهيم مصطفي وآخرون: المعجم الوسيط: تحقيق المجمع اللغوي ـ تركيا ـ المكتبة الإسلامية الطبعة الثانية ٢١٣٩هـ ج٢ ص٧٢٦.

(٢) أحمد عطية الله: القاموس السياسي: دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٨م ص٩١٨.

(٣) كرزسيتوف ويلزينسكي: تاريخ القرصنة، الموقع على شبكة الإنترنت: بعنوان http://www.Pitatesinf.com/detaif-phparliele-id

المتوسط إلى التعاون مع القراصنة اتقاءً لشرهم ولتوفير شيء من الحماية لسفنهم وموانئهم، ولم يكن هناك نية جادة للتخلص من القراصنة؛ لأنهم كانوا يمدون الأسواق بالعبيد وتجري التعاملات التجارية بما يغتصبونه من البضائع التي توفر لهم الملاذ، ويمكن أن نعتبر تلك الفترات مرحلة أولى من تاريخ القرصنة البحرية(١).

المرحلة الثانية:

مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد ظهرت مرحلة أخرى وهي مرحلة انتشار هجمات القراصنة بشكل واسع، وظهر لهم نمط وأعراف، وملابس تميزهم عن غيرهم، نتيجة لرضا روما عن هذه الأعمال حيث سمع للقراصنة بالانتشار؛ لأنها تحقق مصالح وأهداف حكومتها في ذلك الوقت وأصبح للقراصنة قوة كبيرة تهدد التجارة في مناطق مختلفة(٢).

المرحلة الثالثة: بعد الميلاد:

استمرت أعمال القرصنة بعد الميلاد على نحو قريب من أوضاعها قبله من حيث الانتشار في البحر الأبيض المتوسط رغم استمرار الحملات الرومانية التي تعمل على محاربة القراصنة، وفي هذه الفترة وجد أقدم تعريف للقرصنة البحرية من المؤرخ الروماني (بلوتارش) والذي كتب تعريف القرصنة في العام (١٠٠) ميلادي حيث وصف القراصنة "بأنهم أولئك الذين يهاجمون دون وضع قانوني ليس فقط السفن، ولكن أيضًا المدن البحرية"(٣).

---

(1) Souza, Philip De, Ancient Rome and the Pirates (2000). P.105.

(٢) ويلزينسكي: تاريخ القرصنة، الموقع على شبكة الإنترنت: بعنوان:
http://www.Pitatesinf.com/detaif-phparliele-id

(٣) ويلزينسكي: نفس المرجع. نقلًا عن بلوتارش

المرحلة الرابعة:

بدأت هذه المرحلة الرابعة حوالي عام (١٧٣هـ/٧٨٩م)، حيث ظهر في شمال أوروبا أشهر القراصنة في هذه الحقبة، وهم ممن يسمون بالفايكنج من شعوب شمال أوروبا دول الدانمارك والسويد والنرويج حاليًا والذين اكتسحوا معظم دول أوربا وأسسوا مدنًا بين عام (١٨٣هـ/٨٠٠م) و (٤٩٣هـ/١١٠٠م)، وقد اشتهروا بالعنف، والقسوة، والنهب، والاغتصاب، وبحلول القرن الحادي عشر أسسوا إمبراطورية في بحر الشمال مكونة من السويد والدانمارك والنرويج(١).

ثالثًا: تطور مفهوم القرصنة:

تطور مفهوم القرصنة عبر العصور إلى نوعين متمايزين: أولهما القرصنة القائمة على السلب والنهب. والثاني: القرصنة التي تعتبر نوعًا من الحروب البحرية سواء أكانت دفاعية أم هجومية وهدفها ضرب اقتصاديات العدو أو الاستيلاء على بعض المدن الساحلية، أو محاولة إقامة دول لهؤلاء القراصنة، وقد شهدت الحروب الصليبية في المشرق النوعين معًا(٢).

- **الفايكنج (النورمان) أنموذجًا للقرصنة والتواصل الحضاري.**

أولًا: نبذة تاريخية مختصرة عن الفايكنج (النورمان):

١- اسم الفايكنج (النورمان) وأصلهم وموطنهم.

---

(١) كافين رايلي: العنف والانتقام: ترجمة/ عبد الوهاب محمد وآخرون ـ بحث منشور بمجلة عالم المعرفة ـ مجلس الثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٤٠٥هـ ص١٨٨ـ١٩١، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٦م ص١٧٥ وما بعدها.

(٢) بسام العسلي: سلسلة جهاد شعب الجزائر : دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ج١ ص٧٧.

يعرف الفايكنج (النورمان) في بعض المصادر العربية باسم الأردمانيين أو المجوس(١).

أما في المراجع الأوربية فيعرفون باسم الفايكنج (vikings) وقد اختلفت الآراء حول أصل كلمة فايكنج (Viking)، وأيضًا المسميات التي أطلقت على هؤلاء الغزاة؛ فأصلها مجهول غير أنه ظهرت اجتهادات من الباحثين حول مصدر الكلمة؛ فهناك من يرى أنها كلمة مشتقة من لفظ (vik) أي الخليج أو

(١) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تحقيق/ إحسان عباس ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ، تونس الطبعة: الأولى ١٩٨١م ج٥ ص١٨١، ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت. نحو ٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الثالثة ١٩٨٣م ج٢ ص٢٤١، ولا يقصد بهم عبده النار في إيران، فأما التسمية الأولى فواضحة الدلالة فالأردمانيون هم النورمانيين أي أهل الشمال، وقلب النون إلى همزة في أوائل أسماء الأعلام ليس بغريب في لسان أهل الأندلس، فهم يقولون مثلا أربونة في نربونة، وأما تسميتهم بالمجوس؛ فلم يكن ذلك لأنهم كانوا مجوسًا، وإن كان معظمهم في ذلك الحين وثنيين فيهم من يعبد النجوم ومظاهر الطبيعة، ولعل العرب قد أطلقوا عليهم هذه التسمية؛ لأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يمرون به، وكانوا إذا نزلوا بمكان وعسكروا فيه أشعلوا نارًا ضخمة في معسكرهم، وإذا فاجئوا بلدًا، أشعلوا النار في مبانيه، ونهبوا ما فيه (ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ): تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق/ إبراهيم الإبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ص٧٨، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٧٤، عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي: دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ص٢٢٧).

"الفيورد أو ممر بحري، ويراد بذلك عادة أولئك القراصنة الملاحين الذين يُؤوون إلى الخلجان ويستخدمونها كمراكز يشنون منها الغارات على ما يجاورها[١].

وهناك من يرى أنها اشتُقت من الكلمة الأيسلندية القديمة vika وتعني رجال المجداف [٢].

ويرجع أصل الفايكنج إلى العنصر الجرماني: وهم قوم من البدو الرحل الذين كانوا يعشقون الحرب ويزدادون شغفًا بالصيد ويجوسون خلال الغابات والمستنقعات وهم دائمًا على أهبة الرحيل من مكان إلى مكان وليس لهم دخل سوى ما يمكن أن يحصلوا عليه بطريق الحرب والعنف وجرمانيا الموطن الأصلي للعناصر الجرمانية والتي يرجع إليهم النورمان كما وصفها تاكيتوس: كانت منطقة يكتنفها الغابات وتغطيها المستنقعات انعكست وحشتها، وما كان يكتنفها من غموض على طباع سكانها [٣]، والموطن الأصلي للجرمان: هو المناطق المحيطة بالبحر البلطي (البلطيق)[٤] لكنهم انتشروا في القرنين الأول والثاني الميلاديين في أواسط أوربا وشرقها، وأصبحوا أقرب الشعوب المتبربرة إلى حدود الإمبراطورية الرومانية [٥] .

---

(1) Allen Mawer : The Vikings .cam. med hist . iii p - 306

(٢) عمر عبد المنعم إبراهيم: الفايكنج والإمبراطورية الكارولنجية: رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب – جامعة عين شمس . (٢٠٠٩م) ص١٠ .

(٣) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية : دار الكتب الجامعية . الإسكندرية . ١٩٧٥م ص٦، ٧،٢٥٨. نقلا عن تاكيتوس.

(٤) البحر البلطي، بحر البلطيك، بحر البلطيق: هو بحر في أوروبا الشمالية محاط بالدانمرك والسويد وفنلندة وروسيا وبولندة وألمانيا، ويصب فيه عدد كبير من الأنهار (أينهارد: سيرة شارلمان : ترجمة / عادل زيتون ـ دار حسان ـ دمشق ـ الطبعة الأولي ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ص٨٧).

(٥) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية : ص٦.

أما بالنسبة لموطن الفايكنج (النورمان): فهو شبه الجزيرة الاسكندنافية؛ حيث البيئة القاسية، والظروف المعيشية الفقيرة، وصراع القوى بين الحكام المتنافسين على السلطة، واليوم تضم إسكندنافية كل من: الدانمارك Denmark، والنرويج Norway، والسويد Sweden، كما تضم فنلندا Finland، كما إن الطبيعة الجغرافية للممالك الإسكندنافية كان لها تأثير كبير على اتجاهات حركة الفايكنج (النورمان)، فقد اتجه النرويجيون إلى الغرب، بينما اتجه الدانمركيون صوب الجنوب الغربي، في حين اتجه السويديون ناحية الشرق(١).

وقد بدأت هذه العناصر تغير على العالم الأوربي الجنوبي مما جعل بعض الكتاب يقول بأن الفايكنج هم الذين استكشفوا أوربا وليست أوربا هي التي كشفت عن الفايكنج، ولم يختلف الفايكنج عن غيرهم من العناصر البربرية الجرمانية في نظمهم وعاداتهم وأسلوب حياتهم، إلا إن طبيعة بلادهم الجبلية ذات الغابات والأحراش والمستنقعات لم تترك لهم مجالا يعيشون فيه سوى السهول الساحلية، وهكذا دفعت الطبيعة الفايكنج نحو البحر، فبرعوا في بناء السفن الصغيرة المكشوفة التي اتصفت بطولها وقلة عرضها وسارت بالمجداف أو الشراع وجابوا بها شواطئ أوربا من البحر البلطي حتى البحر المتوسط، بل قاموا برحلات في المحيط الأطلسي حتى أصبحوا أعظم شعوب البحرية التي عرفتها أوربا في العصور الوسطى، لذلك اتخذت غاراتهم شكلًا بحريًا أقرب إلى القرصنة منه إلى الزحف البري الذي اتصفت به هجمات بقية الشعوب التيتونية (٢).

٢- الأسباب التي دفعت الفايكنج للخروج من بلادهم:

يمكن تقسيم الأسباب التي دفعت الفايكنج (النورمان) إلى الخروج من بلادهم والقيام بهذه الحركة التوسعية إلى نفسية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية:

---

(١) عمر إبراهيم : مرجع سابق : ص١٥.

(٢) سعيد عاشور: مرجع سابق: ص ١٧٥.

١- الناحية النفسية:

أثبت التاريخ دائمًا أن بعض الشعوب المتأخرة يغلب عليها شعور الحسد والطمع في البلاد المتحضرة القريبة منها، والرغبة في الإغارة عليها لنهب ثروتها أو على الأقل مشاركتها في حضارتها، وهذا الشعور كان أحد العوامل التي حركت القبائل المتبربرة كالفايكنج نحو أوربا والجرمان نحو أراضى الإمبراطورية الرومانية من قبل(١).

٢- الناحية الاقتصادية:

فقد اهتز الفايكنج (النورمان) عندما قام الفرنجة بغزو فريزيا (frisia)(٢)؛ نظرًا لما ترتب على هذا الغزو من شل نشاطهم التجاري وبالتالي مضايقتهم اقتصاديًّا(٣)؛ وذلك لأن الفايكنج أو النورمان كانوا عملاء تجاريين قدامى للفريزيين قبل أن يقوم الفرنجة بغزو فريزيا. كما إن الفريزيين كانوا يمثلون قوة بحرية، وتجارية عظيمة في شمال أوربا، بل كانوا بمثابة حاجز بين الفايكنج والقارة الأوربية، فلما تحطمت هذه القوة أصبح الطريق ممهدًا(٤) أمام الفايكنج لغزو أوروبا(٥)، وكان قضاء الفرنجة على قوة الفريزيين الذين مارس الفايكنج معهم بعض التجارة أثره في تعرض تجارة الفايكنج لأضرار جسيمة؛ فأدى هذا بالفايكنج إلى محاولة الحصول على أسواق جديدة وعملاء جدد لاستمرار تجارتهم(٦).

---

(١) سعيد عاشور: مرجع سابق: ص ١٧٥.

(٢) فريزيا منطقة تقع في غربي أوستفالية بين نهري أيمز والراين والاسم الحديث لمنطقة فريزيا هو نوترلاندس الواقعة في شمال ألمانيا الاتحادية، ونسب إلى منطقة فريزيا القبائل المعروفة باسم الفريزيين الذين ينتمون إلى الجرمان والمعروف أن هذه القبائل كانت قد شكلت خطرًا على الفرنجة وكان رؤساء البلاط الفرنجي قد تصدوا للفريزيين (أينهارد : سيرة شارلمان : ص١١٤).

(٣) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٧٥

(٤) محمد مرسى الشيخ: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - ١٩٩٠م ص٢٩٦.

(٥) محمد مرسى الشيخ: الممالك الجرمانية: ص٢١٦ .

(6) Oman : the Dark eges : London 1962 , P . 45 .

٣- الناحية الاجتماعية:

يقال إن أعداد الفايكنج تزايدت في القرن التاسع حتى ضاقت عليهم بلادهم الفقيرة ولم تعد تتسع لهم الأشرطة الساحلية الضيقة الممتدة على شواطئ إسكندیناوه ودانمارك، مما دفعهم إلى الهجرة والإغارة على البلاد القريبة بغية الحصول على ما يسد رمقهم ويكفي حاجتهم، ويقول بعض الباحثين: "هذا وإن كانت لا توجد في الواقع أدلة تاريخية حاسمة تثبت أن ازدياد السكان وتضخمهم كان سببًا أساسيًّا لهجرة الفايكنج في القرن التاسع "(١).

٤- ومن الناحية السياسية :

حاول المؤرخ هاسكنز Haskins تفسير غزو الفايكنج لأوربا في ظل مفاهيم العصر، وكذلك المفاهيم الحديثة، فذهب إلى القول بأنه حين ظهرت ملكيات مستقلة وحكومات مركزية اتجهت إلى محاولة جمع الفايكنج على فكرة الولاء لنظم الحكم الجديدة، وربطهم بقوانين وقوالب مستحدثة(٢) حين بزغت الملكية في النرويج في القرن التاسع، وحينما ظهرت أيضًا هذه الملكيات في كل من السويد والدانمارك في القرن التاسع(٣).

غير أن طبيعة هذه الشعوب وانطلاقها وحبها للمغامرة لم يترك فرصة للاستجابة لهذه الأمور فاندفع أغلبهم في إغارات متتالية على سواحل أوروبا لإشباع نهمهم للحرب والقرصنة والمغامرة(٤).

ويقول محمد مرسى الشيخ: " والأرجح ما ذهب إليه هاسكنز من أن التغيرات السياسية التي طرأت على المجتمع الفيكنجي كان لها دخل كبير في تلك الهجرة التوسعية الكبرى"(٥).

---

(١) سعيد عاشور : تاريخ أوربا في العصور الوسطى : ص١٧٦.

(2) The Normans in European History , New york 1959 , P. 29

(٣) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية: ص٢٦٠

(4) Haskins: The Normans in European History: P. 29 −30 .

(٥) تاريخ أوروبا: ص٢٩٦، ٢٩٧، الممالك الجرمانية: ص٢٦١.

غير أن المؤرخ فيشر: يرى أن أسباب حركة الشماليين هو حب الغنيمة والاسترشاد بالنجوم في الرحلات الطويلة إلى غير ذلك من المغريات يضاف إلى ذلك ما أظهره الفايكنج من تعصب ديني شديد تجلى في هجومهم على الأديرة واستباحتها ونهب ما حوته الكنائس من تحف ونفائس[١].

ولا شك أن هذه الأسباب مجتمعة كانت الدافع لخروج الفايكنج من بلادهم متجهين إلى أوربا لتحقيق أهدافهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٣- الأدوار التي مرت بها علاقة الفايكنج بأوربا.

مرت غزوات الفايكنج (النورمان) في أوربا بعدة أدوار يمكن تقسيمها على النحو التالي:

الدور الأول: دور الهجوم:

بدأ هذا الدور في أواخر القرن الثامن أي منذ سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م) عندما أخذ الفايكنج يهددون شواطئ إنجلترا واسكتلندا وأيرلندا، وفى ذلك الوقت لم تحل قبضة شارلمان القوية دون تعرض إمبراطوريته لهجمات الفايكنج، ولكن هذه الهجمات لم تأخذ شكلًا خطيرًا إلا بعد وفاة شارلمان، وقد تميزت غارات الفايكنج في دورها الأول بأنها كانت تهدف إلى السلب والنهب والقرصنة، وتتم في فصل الصيف، وتنتهي بالعودة قبل حلول فصل الشتاء كما كانت تضم جماعات صغيرة نسبيًّا تعمل غالبًا لحساب أحد الأُمراء[٢].

الدور الثاني: دور الاستقرار:

لم تلبث الحركة التوسعية للفايكنج أن دخلت دور جديد عند منتصف القرن التاسع عندما أخذوا يقضون فصل الشتاء خارج بلادهم في معسكرات حصينة أو في الجزر المنيعة الواقعة قرب شواطئ البلاد التي يغيرون عليها أو عند مصبات

---

(١) تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ترجمة / محمد مصطفى زيادة . السيد الباز العريني ـ دار المعارف . القاهرة ـ الطبعة السادسة ـ ج١ ص١١٨ وما بعدها، محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية: ص٢٦٢.

(2) Oman : The Dark Ages : P . 415

أنهارها، وبعد أن كانوا في الدور الأول يأتون على هيئة جماعات صغيرة أصبحوا في هذا الدور يغيرون على بلاد غرب أوروبا في هيئة جموع ضخمة فتطورت حركتهم إلى حركة توسعية استيطانية تتم بجماعات كبيرة أو جيوش تعمل لحساب أمير أو مجموعة من الأمراء، حيث كان الفايكنج يحملون معهم نساءهم، وأطفالهم يبتغون الاستقرار بالبلاد التي يغزونها أو بقرب مصبات أنهارها أو في الجزر القريبة من شواطئ تلك البلاد(١).

وقد استطاع الفايكنج أن يقيموا مستعمرة قصيرة العمر في أيرلندا عام (٨٤٣م) كما قضوا الشتاء لأول مرة في إنجلترا سنة (٨٥١م)، وكذلك أخذوا يستقِرون ذلك الوقت في الجزء الغربي من فرنسا الذي عرف فيما بعد باسم نورمنديا، ولكنهم أخذوا يتوغلون تدريجيًّا داخل البلاد وكلما هجر الأهالي الأجزاء القريبة إلى الداخل تتبعهم الفايكنج(٢).

الدور الثالث: دور الدفاع:

ويتميز بمقاومة أهل البلاد للفايكنج ونجاحهم في طردهم من أجزاء كثيرة(٣) ويبدو أن قسوة الفايكنج المتزايدة والمذابح البشرية الرهيبة فضلًا عن الإغارة على الكنائس والأديرة، واستباحتها ونهب ثرواتها قد أوجد شعورًا طافحًا ضد هؤلاء الغزاة تبلور في مقاومة عنيفة قادها بعض أمراء القارة والجزر البريطانية؛ فنجحوا منذ أواخر القرن التاسع في وضع حد لجانب كبير من عبث هذه الشعوب المتبربرة، وليس هناك شك في أن غارات الفايكنج على أوربا، إنما جاءت من أجل الهدم، وأنها كادت تؤدي بكل معالم الحضارة في غرب أوربا إلى الهاوية(٤).

---

(١) محمد مرسى الشيخ : تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٩٩.
(٢) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٧٨ .
(٣) فيشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ج١ ص١٢١.
(٤) محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية: ص٢٦٤.

إن الحضارة الأيرلندية التي أضاءت الأفق الأوروبي منذ قرون لم تستطع أن تعود إلى نورها القديم بسبب ما أنزله النورمان بأيرلندا من التخريب(١).

إضافة إلى ما أنزلوه من تدمير وخراب بإنجلترا والإمبراطورية الكارولنجية (فرنسا) وهولندا كما هاجموا سواحل الأندلس لكي يُنزلوا بها الخراب والدمار الذي اعتادوا عليه لولا يقظة أمرائها .

ثانيًا: الفايكنج وغاراتهم على أوروبا (إنجلترا، أيرلندا، فرنسا، الأندلس، صقلية):

لقد كانت حركة القرصنة التي قام بها الفايكنج حركة توسعية كبيرة شملت العديد من دول أوربا، فمخرت قواربهم الصغيرة المحيط الأطلنطي، فاكتشفوا جرينلاند وأميركا الشمالية، وأقاموا مملكة في دبلن بأيرلندة، واستولوا على إنجلترا وشمالي فرنسا، وهبطوا إلى فريزيا وأغاروا على أسبانيا، وهاجموا بلاد المغرب الأقصى، ومواني الريفييرا وإيطاليا، ووصلوا إلى البحر الأبيض المتوسط، وبلغوا بحر قزوين والبحر الأسود، وأنشئوا مستعمرتين في نوفجورود وكييف، واتخذ منهم الأباطرة البيزنطيين حرسًا لهم، واتصلوا باللاتينيين واليونانيين والعرب، كما اتخذوا لهم أوطانًا في صقلية وأيسلندة، ويرى البعض أنه من الخطأ اعتبار الفايكنج مجرد قراصنة محترفين، فالواقع أنهم نزعوا إلى ممارسة التجارة؛ إذ كانت لهم علاقات تجارية مع الفريزيين والسكسون قبل أن يتعرضوا لغزو الفرنجة الأمر الذي كان له أثر سيئ في تجارة الفايكنج مع هؤلاء الأقوام(٢).

ففي إنجلترا، فقد بدأت غارات الفايكنج عليها منذ أواخر القرن الثامن الميلادي وبالتحديد عام (٧٨٧م) فرست سفنهم قرب دورشستر في هذا العام، ونهبوا أسقفية لندسفرين عام (٧٩٣م) ثم توقفت حملاتهم حتى عام (٨٣٥م) واستطاعوا منذ ذلك الوقت أن يقيموا لهم ملكا وجعلوا دبلن عاصمة لهم، ثم انساحوا في معظم المدن،

(١) فيشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ج١ ص ١١٨.

(٢) السيد الباز العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ص٣٥٢

وجعلوا من إنجلترا موطنًا لهم، كما أنهم فرضوا إتاوة على بقية البلاد، وحصلوا على العديد من الغنائم، واستمر الفايكنج يهاجمون مدن إنجلترا حتى استطاع ألفريد العظيم ملك وسكس[١](٨٤٩-٨٩٩م) أن يطردهم من معظم الأراضي الإنجليزية التي احتلوها لكن بعد عدة حروب مريرة وطويلة، وبعد وفاة ألفريد عام (٨٩٩م)، أخذ خلفاؤه يغزون أراضي الفايكنج تدريجيًّا حتى انتهى الأمر بتوحيد إنجلترا كلها تحت حكم ملك وسكس الذي أصبح يستحق لقب ملك إنجلترا في التاريخ [٢].

أما أيرلندة، فكانت الهدف الرئيس لغارات الفايكنج في السنوات الأولى من القرن التاسع، ففي عام (٨٣٤م)، أغاروا على الشطر الأكبر من الجزيرة فدمروا حضارتها، وأقاموا لهم قواعد على السواحل أخذوا يوجهون منها الحملات على إنجلترا، ثم أوغلوا في أيرلندة فاستباحوا الأديرة وأخذوا منها العديد من الأموال، ثم بعد ذلك تحولت حملات الفايكنج على أيرلندة إلى نوع من الاستقرار في البلاد التي نهبوها[٣].

أما فرنسا، فقد بدأت غارات الفايكنج (النورمان) عليها في حياة شارلمان (٧٧١-٨١٣م) الذي أدى توسعه شمالًا إلى إيجاد حدود مشتركة بينه وبين الفايكنج،

---

(١) ألفريد العظيم هو ملك أنجلو سكسوني حكم مملكة وسكس من سنة ٨٧١ حتى سنة ٨٩٩م. اشتهر بدفاعه عن مملكة الأنجلو ساكسون في مواجهة الفايكنج ليصبح الملك الإنجليزي الوحيد الذي حصل على لقب "العظيم" (يقال أنه كان دنماركيا)، وكان أول الملوك الذي سموا بملوك الأنجلوساكسون. وكان مثقفا ومشجعا للتعليم كما قام بتحسين النظام القضائي والهيكلية العسكرية. توفى يوم ٢٦ أكتوبر ٨٩٩م، ومملكة وسكس تم تأسيسها في فترة العصور الوسطى بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، وهي إحدى الممالك السبعة لإنجلترا الأنجلو سكسونية في القرن الخامس وحتى توحيد مملكة إنجلترا في أوائل القرن العاشر، وكانت الأسرة التي تحكم الدولة أنجلو سكسونية هي أسرة وسكس (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ترجمة/ علي السيد علي ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ص٤٠، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٨٨-١٩١.

(٣) العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٦١، ٣٦٢، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٩٢.

ولم تلبث أن ساءت العلاقات بين الطرفين بسبب حماية الفايكنج للسكسون الهاربين من وجه شارلمان، ومنذ ذلك الوقت، لم تنقطع غارات الفايكنج على شواطئ الإمبراطورية الغربية بحيث لم تمر سنة واحدة دون أن يداهموا إحدى القرى أو المراكز السياحية، وفي عهد لويس التقي[١] خليفة شارلمان استغل الفايكنج الخلافات الداخلية حول تقسيم الإمبراطورية وأنزلوا قواتهم على شاطئ فريزيا عام (٨٣٥م) وفي عام (٨٣٧م) وصلوا عند مصب نهر الراين، وبعد وفاة لويس التقي عام (٨٤٠م) اشتدت حملات الفايكنج على فرنسا، فأوغلوا في نهر السين، واستولوا على روان، وتوغلوا في نهر الألب ونهبوا سكسونيا وفريزيا التي أصبحت شواطئها قلاعًا للفايكنج، ثم استولوا على بعض المدن الجنوبية، فاستولوا على بوردو كبرى مدن الجنوب ونهبوها عام (٨٤٧م) وظلت بأيديهم عدة سنوات، ولا شك أن سيطرة الفايكنج على هذه المدن كان يعود عليهم بأرباح طائلة وغنائم وفيرة الأمر الذي شجعهم على مواصلة نشاطهم التدميري بأعداد كبيرة، ففي عام (٨٨٥م) حاصروا باريس بنحو ٧٠٠ سفينة وأربعين ألف رجل، وعلى الرغم من هذه الأعداد الضخمة، إلا إنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها، وفي عام (٩١١م) عقدت اتفاقية سانت كلير[٢] بين الطرفين تسلم بمقتضاها الفايكنج الإقليم الساحلي الذي نسب إليهم بعد ذلك فعرف باسم نورمنديا[٣].

---

(١) لويس الأول ويسمى أيضا لويس الورع أو التقي ملك الفرنجة ورأس الإمبراطورية الكارولنجية بين عامي ٨١٤ ـ٨٤٠م. ملك أكيتانيا من عام ٧٨١، إمبراطور (باسم لويس الأول) وملك الفرنجة بالاشتراك مع والده شارلمان من سنة ٨١٣. صار الحاكم الوحيد للفرنجة إثر وفاة والده عام ٨١٤. كُلف لويس خلال حكمه في أكيتانيا بالدفاع عن حدود الإمبراطورية الشمالية. انتزع برشلونة من المسلمين سنة ٨٠١م وأعاد بسط سلطان توفى عام ٨٤٠م (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) عقدت معاهدة سانت كلير عام ٩١١م بين الملك شارل الثالث ملك الفرنجة الغربيين ورولو، زعيم الفايكنج. وعلى إثرها تأسست دوقية نورماندي تلك الدوقية التي سميت نسبة لسكانها النورمان (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٦٣، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٨٦، ١٨٧.

أما الأندلس (أسبانيا والبرتغال حاليًا)، فقد بدأت غارات الفايكنج عليها منذ عام (٢٣٠هـ/٨٤٤م) في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)، حيث ظهروا فجأة أمام مدينة لشبونة في أربعة وخمسين مركبًا ومثلها أو أكثر قوارب وانحدروا بعدها إلى أشبيلية، ثم قرطبة، ثم عادوا إلى أشبيلية بعد عدة أحداث ومعارك، وقد ارتكبوا خلال ذلك فظائع وفضائح من القتل والنهب والتخريب، ثم غادروا الأندلس إلى عرض البحر(١).

وعلى الرغم من المقاومة التي أظهرها أهل الأندلس في صد أولئك الغزاة، إلا إنه يبدو أن غاراتهم استمرت بشكل خطير مما دفع الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى إرسال سفارة إلى ملك الفايكنج، وقد انتدب الأمير عبد الرحمن أحد الرجال البارزين في بلاطه للقيام بسفارة إلى بلاد النورمان، وهو الشاعر يحيى بن حكم الغزال، ويبدو أن ما توصلت إليه هذه السفارة لم تكن إلا اتفاقاً مرحلياً؛ لأن النورمان عاودوا هجومهم على الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وذلك في سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) وسنة (٢٤٧هـ/٨٦١م)، ولكن لم يستطع النورمان أن يحققوا في هذين الهجومين انتصارًا يذكر، بل على العكس دُحِروا، وردوا على أعقابهم دون أن يتمكنوا من إلحاق أذى كبير بالمسلمين؛ ويعود السبب في ذلك إلى أن جهود الأمير عبد الرحمن الأوسط كانت قد أينعت في عهد ولده الأمير محمد، فكان للاحتياطات الدفاعية التي اتخذها في تقوية الأسطول والمحارس والرباطات التي أقامها على طول الساحل الغربي للأندلس، أثر كبير في رد الغزاة والتقليل من شأن هجومه(٢).

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس: ص٨٠.

(٢) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٠، خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: دار الكتاب المتحدة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ٢٠٠٠م ص١٣٢.

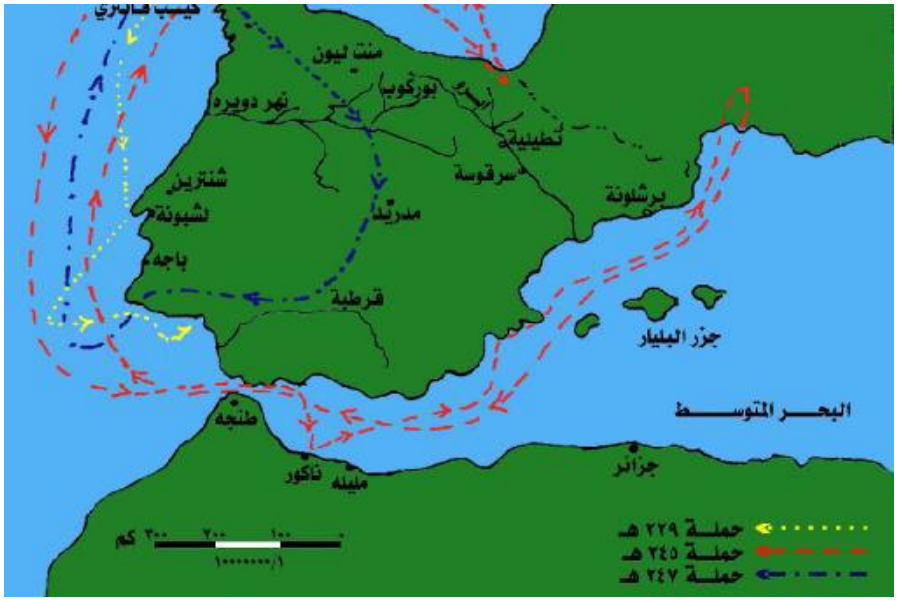

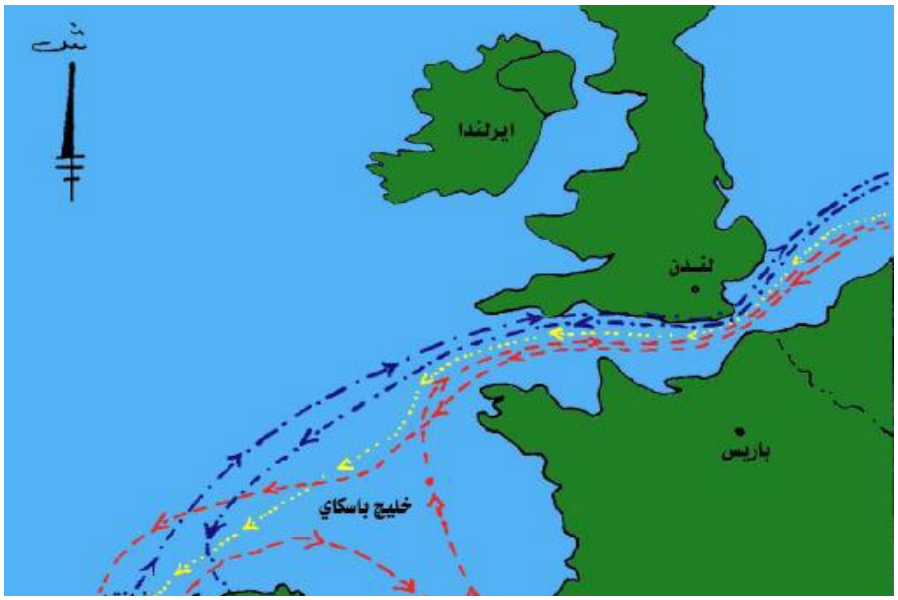

عبد الرحمن الحجي :العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وغرب أوربا ص ١٧١.

وفي عام (٢٥٤هـ/٨٦٨م)، وخلال عصر الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)" ظهرت مراكب المجوس (الفايكنج) في البحر الكبير (المحيط الأطلسي) وأفسدوا بسائط أشبونة، وناشبهم الناس القتال، فرجعوا إلى مراكبهم، وأخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل، وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بتعجيل حركة الأسطول، ثم وردت الأخبار بأن العساكر نالت منهم في كل جهة من السواحل"[١].

وفي عامي (٣٦٠هـ/٨٧٣م) و (٣٦١هـ/٨٧٤م)، عاد النورمان لغزو سواحل الأندلس الغربية في فلم يكد يمضى على رحيلهم من الأندلس سوى خمس سنوات حتى عاودوا هجومهم مرة أخرى، فأزعج السلطان قائد البحر بالخروج إليهم[٢].

وفي عصر ملوك الطوائف[٣] وبالتحديد عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) : "عاود الفايكنج هجومهم على الأندلس ونزلوا على مدينة

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد(ت ٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: المحقق: خليل شحادة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج٤ ص١٨٦.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: ج٢ ص٢٤١.

(٣) في عام (٤٠٠هـ /١٠٠٩م) بدأ ظهور عصر الطوائف في الأَنْدَلُس، الذي دام حتى عام (٤٨٤هـ/١٠٩١م)؛ وكان ذلك بسبب سقوط الخلافة الأموية التي نخرتها الأطماع والأحقاد والصراعات الداخلية على الحكم، وسعيُ بعض الشخصيات للمجد الشخصي متناسيًا في ذلك مصالح الأمة وضرورة وحدتها لتقف صفًا واحدًا أمام أعدائها وانقسمت الأَنْدَلُس إلى دويلات، واتخذ حكامها ألقابهم تبعًا لحجم دويلاتهم فأحدهم: ملك أو أمير، أو والٍ أو قاض؛ ونظرًا لاختلاف القوى والرياسات، فقد أخذ القوى يبطش بالأضعف، والأضعفُ يدرأ الخطر بالتحالف مع جاره القوي، وأحيانًا يستنجد بأمراء النصارى مقابل ثمن باهظ، وقد عرف هذا العصر باسم عصر ملوك الطوائف أو عصر الفرق (محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس: مكتبة الخانجي، القاهرة ـ الجزء الثاني الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م صفحات متفرقة بتصرف).

بربشتر [١] فحاصروها أربعين يومًا حتّى دخلوها عنوة، فقتلوا عامّة رجالها وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونسائهم ما لا يحصى كثرة، ويذكر أنّهم اختاروا من أبكار جواري المسلمين وأهل الحسن منهنّ خمسة آلاف جارية وأهدوهنّ إلى صاحب القسطنطينية وأصابوا فيها من الأموال والأمتعة ما يعجز عن وصفه"[٢].

وبالمقارنة بين غارات الفايكنج (النورمان) على أوربا المسيحية والأندلس الإسلامية، نجد أن غاراتها على دول أوربا المسيحية حققت ما تصبو إليه، فاستولوا على المدن، وأخذوا الكثير من الغنائم بل استقروا في بعض المناطق وأنشئوا فيها حكمًا ذاتيًّا لهم مثل نورمنديا، وهذا يرجع من وجهة نظري إلى ما كانت تعانيه أوربا في ذلك الوقت من ظلام دامس، ومن صراع وتناحر على السلطة بين أفراد البيت الواحد، الأمر الذي ساعد الفايكنج في نجاح حملاتهم على أوربا المسيحية، أما الأندلس، فقد كانت هي البقعة المضيئة في أوربا في ذلك الوقت وتحت حكم الدولة الأموية القوية التي اهتمت بكل شيء من علوم وفنون، إضافة إلى يقظة حكام الأندلس واهتمامهم بالجيش وبالبحرية الإسلامية، ولذلك لم يحقق الفايكنج من حملاتهم عليها سوى بعض الغنائم التي استولوا عليها، لكن في عصر الطوائف عندما انقسمت الأندلس إلى ممالك وطوائف ودب الصراع بين أمرائها نجح الفايكنج في الاستيلاء على بعض المدن وهي مدينة بربشتر، وعلى الرغم من أنهم لم يمكثوا فيها طويلًا، إلا إن ضعف ملوك الطوائف وتناحرهم هو الذي مكنهم من ذلك.

---

(١) بربُشتَر : مدينة في شرقي الأندلس من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ): معجم البلدان: دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة: الثانية ١٩٩٥م ج١ ص٣٧٠).

(٢) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ): المسالك والممالك: دار الغرب الإسلامي ـ ١٩٩٢م ج٢ ص٩١٠.

أما صقلية، فقد ظل النورمان لمدة ثلاثين عامًا يرسلون حملاتهم عليها، حتى تم لهم الاستيلاء على الجزيرة وانتزاعها من أيدي المسلمين عام (٤٨٤هـ/١٠٩١م) وأقاموا فيها دولة استمرت حتى عام (٥٩١هـ/١١٩٤م) عندما استولى عليها هنري السادس إمبراطور ألمانيا(١).

- **التواصل الحضاري للقراصنة الفايكنج (النورمان):**

يرى البعض أن الفايكنج لم يكونوا برابرة بمعنى الكلمة؛ وذلك لأنهم أظهروا مزيجًا عجيبًا من البدائية والنزعة الحضارية، إذ ظلوا محتفظين ببعض تقاليدهم البدائية من جهة، في حين فاقوا كثيرًا من شعوب أوربا المجاورة في بعض نواحي النشاط البشري، وبصفة خاصة الحروب والتجارة والتنظيم الاجتماعي من جهة أخرى(٢).

---

(١) وِل ديورانت: قصة الحضارة: ترجمة/ زكي نجيب محمود وآخرين ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج١٥ ص٢٥٩. وهنري السادس كان فردًا من أفراد سلالة آل هوهنشتاوفن، وملك ألمانيا (ملك الرومان) بين عامي ١١٦٩ – ١١٩٧، والإمبراطور الرومانيّ المقدس من عام ١١٩١ حتى عام ١١٩٧، وملك صقلية من عام ١١٩٤ إلى حين وفاته في ٢٨ سبتمبر عام ١١٩٧م. كان الابن الثاني للإمبراطور فريدريك الأول بربروسا وزوجته بياتريس الأولى من بورغوندي، كان هنري شاعرًا ماهرًا وراعيًا للشعراء. تزوج في عام ١١٨٦ من كونستانس ملكة صقلية، ابنة ملك النورمان روجر الثاني. احتل صقلية في عام ١١٩٤، هدد هنري باحتلال الإمبراطورية البيزنطية بعد عام ١١٩٤ ونجح في الحصول على فدية، أو الضريبة الألمانية من الإمبراطور ألكسيوس الثالث أنجيلوس مقابل إلغاء الغزو. ضم مملكة قبرص ومملكة أرمينيا الصغرى إلى إمبراطوريته بشكل رسميّ وأجبر تونس وإقليم طرابلس على دفع ضريبة له، خطط لتغيير نظام حكم= =الإمبراطورية الرومانية المقدسة من نظام انتخابي إلى ملكي، المشهورة باسم (erbreichsplan)، ولكنه قوبل برفض قاطع من قبل الأمير الناخب وتنازل عن خطته. تعهد هنري بإطلاق حملات صليبية في عام ١١٩٥، وبدأ بتجهيز الحملات. قُمع تمرد في مملكة صقلية عام ١١٩٧، رست سفن جنود الحملات الصليبية في نفس السنة على شواطئ الأراضي المقدّسة، لكن قبل أن ينضم إليهم، مات هنري بسبب المرض في مدينة مسينة في ٢٨ سبتمبر عام ١١٩٧. أقحم موته الإمبراطورية في نزاعات العرش الألماني لمدة ١٧ عامًا (موقع الموسوعة الحرة).

(٢) Haskins: The Normans in European History: P .36. ، سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠١.

ونتيجة لهذا الرأي: فإن الفايكنج كانوا أصحاب حضارة على الرغم من بداوتهم.

بينما يرى البعض الآخر: أن الفايكنج على الرغم من أنهم كانوا رحالة عظام أنجزوا مغامرات بارزة في عالم الملاحة، وكانت مدنهم مراكز تجارية عظيمة، وكان فنهم أصيلًا مبدعًا ومؤثرًا، وقد تباهوا بأدبهم الرفيع وثقافتهم المتطورة، إلا إنهم لم يكونوا أصحاب حضارة، ويعلل أصحاب هذا الرأي ذلك: بأن لمسة الإنسانية، والتي هي علامة الحضارة كانت غائبة عنهم تمامًا، وأن الطفل الغربي عندما يذهب إلى المدرسة كان يلقب بإسهاب أن الشرق الأدنى هو مهد الحضارات، وأن أولى الحضارات قد برزت ونهضت في مصر وفيما بين النهرين يغذيها نهر النيل وأحواض نهري دجلة والفرات، ومن هنا انتشرت الحضارة إلى كريت واليونان، ومن ثم إلى روما وأخيرًا إلى برابرة شمالي أوربا(١).

وفي رأيي: أنه يمكن التوفيق بين الرأيين، ففي البداية وقبل اتصال الفايكنج بأوربا، فإنهم لم يكونوا أصحاب حضارة، فلم تعرف عنهم أوربا سوى أنهم مجموعات متناثرة ومنغلقة من قراصنة البحار أتوا من إسكندنافيا بغرض التجارة أو القرصنة أو كليهما معًا.

أما بعد اتصالهم بأوربا، فقد تغيرت بعض صفاتهم وتحولوا من قراصنة كان كل هدفهم الإغارة على المدن بقصد السلب والنهب إلى الاستيلاء عليها بقصد الاستقرار وإقامة حكم ذاتي لهم، ومنذ ذلك الوقت أصبح لهم دول يحكمونها كنورمنديا وصقلية، وبالتالي راحوا يتعرفون على الحضارات التي كانت قائمة في هذه الدول قبل قدومهم، فتهذبت طبائعهم وسلوكياتهم، وأصبحت لهم حضارة خاصة بهم راحوا يعملون على ازدهارها ونشرها. وبالتالي، فإن حضارتهم كانت مزيجًا من الحضارات الأخرى الإسلامية والأوربية، إضافة إلى احتفاظهم ببعض سماتهم الأولى كالحروب والتجارة والتنظيم الاجتماعي.

---

(١) مايكل كرايتون: أكلة الموتى عن مخطوطة ابن فضلان: دار الهلال ـ الطبعة الثانية١٩٩٩م ص١٢-١٤.

وفي النهاية يمكن القول: بأن الفايكنج أصبحوا أصحاب حضارة مستحدثة أثرت وتأثرت بغيرها من الحضارات الأخرى لاسيما الحضارة الأوربية المسيحية، والحضارة الإسلامية، وأصبح هناك تواصل حضاري مع هذه الحضارات.

١- التواصل الحضاري للفايكنج مع أوربا المسيحية:

- بين الوثنية والمسيحية:

تعددت الآلهة عند الفايكنج وكانوا مؤمنين بهذه العقائد الوثنية، وكان من ضمن آلهة الفايكنج: (أودن) وهو الأهم، لأنه يمثل إله الحرب، أما (ثور)، فهو الزعيم وكبير الآلهة، وهو إله الرعد، (بالدر) إله الضوء، و(فراي) إله الخصب، وغيرهم الكثير، ومن معتقداتهم أن الآلهة تحارب مجموعة من العمالقة ونهاية الكون ستكون بمعركة كبيرة. كما اعتقدوا أن الشمس فتاة والقمر هو الفتى بعكس كل الاعتقادات الأخرى في العالم، وأن ذئبًا عملاقًا يجري وراءهم كل يوم وهم يركبون على عربتهم التي تجرها الخيول، وفي كل شهر كان يقطم الذئب قطعة من القمر ويفلت بفعلته إلا إنه يتعافى، وقد ظل الفايكنج يدينون بهذه المعتقدات الوثنية الخرافية حتى اختلطوا ببلاد أوروبا واعتنقوا المسيحية، ويرى البعض أن أول معرفة الفايكنج بالمسيحية جاءت عن طريق علاقاتهم التجارية مع الفريزيين، وقد أخذت البعثات التبشيرية تترد على اسكندیناوة والدانمرك منذ أوائل القرن الثامن، وبعد ذلك عمل لويس التقي على نشر المسيحية بين الفايكنج بالطرق السلمية، فأغرى هارولد ملك الفايكنج على اعتناق المسيحية حتى تم تعميده مع عدد كبير من أتباعه عام (٨٢٦م) [(١)].

وفي عام (٩١١م) عقد ملك فرنسا شارل البسيط معاهدة سانت كلير مع زعيم الفايكنج، حيث أعطاهم منطقة في شمال البلاد، واشترط عليهم أن يعتنقوا المسيحية، ويوقفوا غاراتهم على بقية أراضيه، بل ويساعدوه في صد غارات الآخرين. وهذا ما حدث بالفعل، وسميت تلك المنطقة بالنورماندي، وصارت دوقية عظيمة الشأن في فرنسا[(٢)].

---

(١) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٢.

(٢) موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٩.

أخذت بعد ذلك المسيحية تنتشر تدريجيًّا على حساب الوثنية بين الفايكنج، ليس في بلادهم الأصلية فحسب، بل في المواطن الجديدة التي هاجروا إليها واستقروا فيها سواء في غرب أوربا أو شرقها، وليس هناك من شك في أن انتشار المسيحية بين هذه الشعوب ترك أثرًا واضحًا في مستقبل أوربا وتاريخها(١).

إن تحول الفايكنج إلى المسيحية ديانة رسمية يعد أحد الأسباب الرئيسة لنهاية عصرهم، حيث أدانت الكنيسة غزوات الفايكنج المتكررة التي كان يذهب ضحيتها مسيحيون آخرون مما دفعهم للتوقف عن غزواتهم الدموية لأسباب دينية، بل إنهم صاروا حماة لهذا الدين، واعتبروا أنفسهم أتباعًا للكنيسة، وشغفوا ببناء الكنائس والأديرة، فلم تمض مائة عام على تملكهم نورمنديا حتى غدوا حماة أقوياء للمسيحية، فراحوا يدافعون عنها ويُسيرون الحملات باسمها، فقد شاركوا في الحملة الصليبية الأولى(٢)، ثم قاموا بحملاتهم الصليبية على شمال إفريقيا فيما بعد(٣).

تأثير الفايكنج في أوربا:

ترك الفايكنج أثرًا حضاريًّا واضحًا في كل بلد استقروا فيه وبخاصة أيرلندة وإنجلترا وملحقاتهم الطبيعية، وإذا كانت العناصر الأولية لحضارة الفايكنج قد أخذت تتلاشى تدريجيًّا من البلاد التي نزحوا إليها واستقروا فيها، فإن هذه العناصر قدر لها البقاء في أقصى الغرب أي في أيسلاند وجرينلاند، حيث ازدهرت حضارة الفايكنج، وأصبح تراثهم مصدرًا لتطور مبتكر يختلف عن أي تطور حضاري آخر في القارة الأوربية، وقد بلغ التقدم الحضاري في جرينلاند بعد استقرار الفايكنج فيها أن أديرتها في جرينلاند بعد استقرار الشماليين فيها أن أديرتها في القرن الثاني عشر كانت تستخدم أنابيب

---

(١) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٢.

(٢) ستيفان رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: ترجمة/ السيد الباز العريني ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ج١ ص٧، ٢٢٠.

(٣) العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٦٤، ممدوح حسين: الحملات الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري: دار عمار ـ عمان ـ الأردن ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م صفحات متفرقة.

المياه الدافئة في التدفئة داخل الأديرة، في حين استمدت هذه الأنابيب مياهها من ينبوع دافئ طبيعي هذا فضلًا عن النشاط التجاري الواسع الذي قام به أهالي جرينلاند وأيلاند في الميدان الاقتصادي، إذ أخذوا يصدرون الأسماك والفراء والزيت إلى البلاد القريبة(١).

وفي ميدان اللغة، فقد أثرت اللغة النوردية القديمة على اللغة الإنجليزية حيث كان التأثير اللغوي طويل الأجل لمستوطنات الفايكنج في إنجلترا تأثيرًا ثلاثيًا: حيث أصبحت أكثر من ألف كلمة نوردية قديمة في النهاية جزءًا من اللغة الإنجليزية الرسمية؛ وتمتلك أماكن عديدة في شرق إنجلترا وشمالها الشرقي أسماء دانماركية، والعديد من الأسماء الشخصية الإنجليزية لها أصول إسكندنافية(٢).

وفى ميدان الأدب: فإن المجموعة الضخمة من أساطير الساجا saga وأشعار الأدا تعتبر خير ما يدل على التقدم الأدبي وبخاصة في أيلاند أما الساجات، فهي أساطير نثرية تمتاز بطابعها الواقعي واتزانها واستقامة نظرتها إلى الحياة والطبيعة وإذا كانت هذه الأشعار تنطوي على شيء من الخشونة والبربرية، إلا إنها تعبر تعبيرًا ساميًا عن روح البطولة، كما تحرص على إبراز الغرض الأسمى الذي يسعى إليه البطل، وهكذا يرجع الفضل إلى الفايكنج عندما أنتجت جزر أوربا الشمالية المقفرة حضارة طيبة وأدبًا رفيعًا من أعظم ما أنتجه أوربا في العصور الوسطى(٣).

وفي النهاية، يمكن القول بأن حضارة الفايكنج أثرت وتأثرت بالحضارة الأوربية، فقد هذبت الحضارة الأوربية في شعوب الفايكنج، فغاراتهم على أوربا لم تلبث أن تحولت من لصوصية إلى فتوحات، ومن فتوحات إلى استقرار، فالفايكنج الذين خربوا الأديرة في أيرلندا هم الذين أسسوا المدن التجارية فيها، والفايكنج الذين هدموا مدينة أرماخ الأيرلندية،

(١) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٣.

(٢) موقع الموسوعة الحرة: تحت عنوان عصر الفايكنج.

(٣) سعيد عاشور: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٢٠٣.

هم الذين أنشأوا مدن وترفورد ودبلن ووكسفورد عوضًا عنها، أما في إنجلترا وفرنسا، فقد أثر الغالبون والمغلوبون في بعضهم البعض تأثيرًا باقيًا، لا بسبب اختلافهم وتباينهم في الصفات بل بسبب تشابههم فيها، ولا سيما النجابة والمرونة والوعي، فالفايكنج في انجلترا صاروا إنجليزا، وفي نورمنديا صاروا فرنسيين وتقبل هؤلاء وأولئك المسيحية والثقافة اللاتينية التي أضحت جزءًا لا يتجزأ من المسيحية، ولم ينته القرن العاشر حتى صار الفايكنج جميعًا في دائرة الحضارة الرومانية اللاتينية(١).

٢- التواصل مع المسلمين:

ظهر الإسلام في القرن السابع كقوة حضارية وروحية وإمبراطورية عازلة بين أوروبا وأفريقيا، وما تلى ذلك من أحداث امتدت فصولها عبر قرون بدأت بفتح الشام وباقتطاع جنوب المتوسط عن الإمبراطورية الرومانية والاستيلاء على الأندلس وفتح القسطنطينية، جعلت غاية الإسلام من هذا التواصل البحث عن نقاط الالتقاء عن طريق المنطق والعقل، والفهم للوصول إلى أرضية مشتركة تعتمد على المصالح المتبادلة. أما الغاية الأخرى، فهي المثاقفة والتلاقح الفكري الذي يسمح بالتأثير والتأثر بين الحضارات(٢).

لقد أثرت الحضارة الإسلامية في الفايكنج كما أثرت وتأثرت بغيرها من الأمم الأخرى، وقد كان التواصل الحضاري بين المسلمين والفايكنج عند طريق عدة وسائل منها:

أ- السفارات:

لم يكن الإسلام غريبًا عن أوروبا منذ بدء الفتوحات الإسلامية ونشأة إمارة الأندلس في جنوب أوروبا في شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال اليوم). لكن الدلائل على التواصل والاتصال العربي الإسلامي بشعوب الفايكنج شمال أوروبا له شواهد قوية.

---

(١) موريس بيشوب: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص١٢٠، ١٢١، ١٢٧.

(٢) مريم آيت احمد: مستويات الحوار الحضاري: نقلا عن: مجلة حراء، العدد: ٣٢، لسنة ٢٠١٢م ص ٣٥.

ومن الوثائق التاريخية الشيقة والنادرة عن علاقة العالم الإسلامي بالفايكنج، ما سجله الرحالة الإسلامي الكبير (أحمد بن فضلان العمري) في رحلته الشهيرة إلى بلاد الفايكنج، حيث ذهب إلى ملك الفايكنج بسفارة خاصة عام (٣١٠هـ/٩٢١م) من الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٤م) استجابة لوفد من طرف ملك الفايكنج وصل بغداد ملتمسًا إرسال سفارة إلى مملكته لشرح مبادئ الإسلام، وأموال لبناء مسجد وقلعة حصينة يحتمي بها من أعدائه(١).

وقد حظيت هذه الرحلة باعتناء واسع من علماء التاريخ في العالم، وترجمت لعشرات اللغات، وصارت واحدة من أهم المراجع في تاريخ الفايكنج ومعرفة عاداتهم وسلوكياتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية والدينية، وقد بدأ الفايكنج في التفكير بتكرار تجربة إنجلترا الناجحة في العالم الإسلامي، وذلك من جهتين مختلفتين: من الشرق بالهجوم على ثغور الدولة العباسية، ومن الغرب بالهجوم على سواحل الدولة الأموية في الأندلس، وقد تباينت الاستفادة السياسية والإستراتيجية بين الدولة العباسية والأندلس تباينًا كبيرًا يكشف الوعي الحضاري الذي كان عليه مسلمو الأندلس(٢).

وصف ابن فضلان أجسام الفايكنج وصفاً تفصيليًّا، بأن لهم أجسادًا طويلة مثالية وصفها كأشجار النخيل، كما وصف نساءهم بأنهن يرتدين مربعات من الحديد أو الذهب أو الفضة فوق صدورهن، وتشير قيمة المربع إلى ثروة الزوج كما وصف طقوس الجنازة، بأن الميت يستمر لعدة أيام، ويتكون من طقوس مختلفة، حيث يتم إعداد الرجل المهم الميت من أجل إحراقه، جنبًا إلى جنب مع بعض العبيد والفتيات اللاتي تطوعن للموت مع سيدهن(٣).

---

(١) ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس (ت بعد ٣١٠هـ): رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة: دار السويدي ـ أبو ظبي الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م ص١٧، ٣٩.

(٢) شريف عبد العزيز: هجوم الفايكنج على العالم الإسلامي: مقال بموقع ملتقى الخطباء.

(٣) رحلة ابن فضلان: ص١٠١، ١٠٢.

ويلاحظ أن ابن فضلان اختار وصف العادات والسلوكيات الغريبة التي تختلف عن الممارسات والقيم الإسلامية، ومن ذلك (النظافة والعادات الصحية، والنكاح)، فعلى النقيض من جمالهم الجسدي، فقد وصفهم بأنهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا يغسلون أيديهم من الطّعام، بل هم كالحمير الضّالة ينكح الواحد منهم جاريته ورفيقه ينظر إليه، وربّما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض، وربّما يدخل التاجر عليهم ليشتري من بعضهم جارية، فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي أربه، كما أنهم يستعملون وعاء واحد من الماء في اليوم يكاد لا يخلو من كل تلك القذارة، حيث تملئ الخادمة كل يوم قصعة لسيدها فيغتسل، ثم يبصق فيه أيضًا أو ينظف أنفه، ثم بعد أن ينتهي تقوم الخادمة بتمرير نفس الحوض بنفس الماء لباقي أفراد العائلة دون تغيير الماء [١].

يعتبر هذا الوصف مشينًا ومقززًا بالنسبة لمسلم مثل (ابن فضلان) ومن الممكن أن دينه قد حثه على عدم استخدام مياه راكدة أو غير نظيفة لمجرد الوضوء.

كما وصف (ابن فضلان) طبيعة ملك الفايكنج بأن له ٤٠٠ رجل في قصره، يجلسون حول عرشه المرصع بالأحجار الكريمة، وهم من أشجع الرجال، الذين يموتون مع الملك ويقتلون من أجله، ولكل منهم جارية من الرقيق تخدمهم وتعمل على راحتهم[٢].

وفي الحقيقة كان (ابن فضلان) رجلًا مميزًا فضله الخليفة بسبب مؤهلاته الدينية والدراسية والأدبية مما جعله مرشحًا أساسيًّا لقيادة حملة سياسية ودينية عظيمة كهذه إلى بلاد الفايكنج، مما جعله أفضل من وصفهم وشعوبهم قديمًا، ولاشك أن ابن فضلان قام برسالة الخليفة على أكمل وجه فعرفهم بالإسلام وحضارته فكانت هذه السفارة أول تواصل حضاري دبلوماسي بين المسلمين والفايكنج.

---

(١) رحلة ابن فضلان: ص١٠٢، ١٠٣.

(٢) رحلة ابن فضلان: ص١١٠، ١١١.

يتسأل بعض الباحثين ويقول: هل كان هناك اتصالات بين المسلمين والبلغار قبل رحلة ابن فضلان عام (٣١٠هـ/٩٢١م)؟. ثم يجيب قائلًا: لابد من القول: إن الدين الإسلامي دين لجميع الناس، وإنه وصل إلى بقاع العالم من خلال الدعاة والتجار والجيوش والسفارات، وغير ذلك، وإن انتشار الإسلام إلى بلاد البلغار لا يشذ عن تلك القواعد، إلا إنه من المؤكد أنهم عرفوا الإسلام واعتنقوه قبل رحلة ابن فضلان، ولكن بفترة تبدو قصيرة؛ لأن الرحلة جاءت استجابة وردًا لملك الصقالبة (البلغار) إلى الخليفة العباسي المقتدر بإرسال بعثة لتفقيههم بالدين الإسلامي، وهذا يعني أنهم حديثو عهد بالإسلام، وأن إيمانهم كان سطحيًّا؛ لأن معرفتهم به ربما كانت على يد بعض التجار وليس دعاة أو فقهاء(١).

واتفق مع الباحث في أنهم كانوا حديث عهد بالإسلام، ولذلك طلبوا من خليفة المسلمين أعلى سلطة دينية وسياسية أن يرسل لهم من يفقههم في الدين، كما طلبوا منه بعض الأموال لبناء مسجد وقلعة حصينة يحتمون بها من أعدائهم، وهذا يعني أنهم أصبحوا يدينون بالولاء للخليفة وعليه حمايتهم لكونهم أصبحوا مسلمين.

إذن، كانت سفارة ابن فضلان وسيلة من وسائل التواصل الحضاري بين المسلمين والفايكنج.

ومن السفارات الأخرى إلى بلاد الفايكنج سفارة يحيى الغزال والتي أرسلها الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) إلى ملك الفايكنج بعد هجومهم على سواحل الأندلس عام (٢٣٠هـ/٨٤٤م)، فبعد أن هاجم أسطول الفايكنج شواطئ الأندلس، وعاث فسادًا في بعض المدن الأندلسية تصدى له الجيش الأندلسي، وقُتِل قائد الفايكنج وأُحرِق عدد كبير من سفنهم وهرب باقي الفايكنج عائدين إلى بلادهم بعد هزيمتهم النكراء، وبعد الهزيمة

(١) طه خضر عبيد: الحضارة العربية الإسلامية: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ص٢٥٤.

سعى ملك الفايكنج هوريك خلال المدة(٨٢٧ـ٨٥٤م) إلى الصلح وعقد الهدنة مع الأندلس، فأرسل سفارة إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الأوسط لعقد معاهدة صلح بينهم فوافق الأمير عبد الرحمن وقام بإرسال يحيى الغزال سفيرًا إلى بلاد الفايكنج بصحبة أحد وجهاء الأندلس وهو يحيى بن حبيب، فخرجا معًا إلى البحر المحيط في مركب خاص بهما مع مركب رسل الفايكنج، وقد وصف الغزال تلك الرحلة وما لقيه السفيران المسلمان من أهوال البحر وشدته، وكيف أنهما أوشكا على الهلاك، لكن في النهاية جازا تلك الشدائد سالمين ووصلا إلى بلاد المجوس (الدانمارك)، حيث كان مقر ملك الفايكنج بها، وتعتبر سفارة يحيى الغزال هي الأولى من نوعها من جانب المسلمين في الأندلس إلى الدانمارك وإسكندنافيا، التي يصفها بأنها بلاد المجوس وهي (جزيرة عظيمة في البحر المحيط)، وقبل دخوله على ملك الفايكنج اشترط الغزال عليه ألا يسجد له، فأجابهما إلى ذلك، وأراد الملك أن يحرج الغزال فأمر بالباب الذي يفضي إليه، فضيق حتى لا يدخل عليه أحد إلا راكعًا، فلما وصل إليه الغزال جلس إلى الأرض وقدم رجليه وزحف على إليته زحفا، فلما جاز الباب استوى واقفًا والملك قد أعد له وأحفل في السلاح والزينة الكاملة، فما هاله ذلك ولا ذعره، ولقي السفير المسلم من ملك الفايكنج كل ترحاب وعطف، وأفرد لإقامته وزملائه منزلًا حسنًا، وقدم إليه الغزال كتاب أمير الأندلس عبد الرحمن وهديته من الثياب والآنية، ولقي الغزال في بلاط الفايكنج كثيرًا من الإعجاب، واستقبلته (نود) ملكة الفايكنج، وقد أعجبت برجاحة عقل الغزال وفطنته، وله فيها شعر غزل في جمالها، عاد الغزال إلى الأندلس بعد رحلة دامت عشرين شهرًا [١].

(١) ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي (ت٦٣٣هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب: تحقيق/ الأستاذ إبراهيم الإبياري وآخرون ـ دار العلم للجميع ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ص١٣٩ـ١٤٦، سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس: الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ج١ ص٢٤٣.

وتعتبر سفارة الغزال هي الأولى من نوعها التي تصل إلى الدول الاسكندنافية، وإن كانت قد سبقت هذه السفارة رحلة أحمد بن فضلان الذي مر بتلك البلاد أثناء سفارته إلى بلاد الصقالبة، لكن ابن فضلان أسهب كثيرًا في وصف تلك البلاد ووصف جغرافيتها، وتحدث عن عادات سكانها وتقاليدها، لكن اهتمام الغزال كان بالجانب السياسي وتأدية سفارته فلم يشغل نفسه بأي جانب آخر، وبهذه السفارة نجح الأمير عبد الرحمن الأوسط بالأسلوب الدبلوماسي تجنيب بلاده هجمات أولئك القراصنة طيلة ما تبقى من حكمه، كما إنها تمثل أول تواصلًا حضاريًا بين المسلمين في الأندلس والفايكنج.

ب ـ الاتصال التجاري بين بلاد الإسلام والفايكنج:

تعد التجارة من وسائل التواصل الحضاري بين الأمم في المقام الأول؛ ولأنها في هذه الفترة قد انتعشت وازدهرت بين الدولة العربية الإسلامية والدول المجاورة لها، ولازدهار النشاطات الاقتصادية الأخرى الزراعية والصناعية، وتأمين طرق التجارة الدولية، ومن الخطأ اعتبار الفايكنج مجرد قرصين محترفين، فالواقع أنهم نزعوا أيضًا إلى ممارسة التجارة، إذ كانت لهم علاقات تجارية مع الفريزيين والسكسون(١).

ولعل التجارة الكبيرة مثل الفراء والعسل والجلود والعاج والأسماك وغيرها، كما كانت الفضة في ذلك الوقت ثمينة ومكلفة ، كما حرص العرب المسلمين على الحصول على البضائع الاسكندنافية من الفايكنج مثل القبعات والمعاطف المصنوعة من فرو الثعالب، كما إن عالِم الآثار لا يجد صعوبةً في تمييز الأشياء الغربية الموجودة في مقابر الفايكنج مثل: عُملة نقدٍ من بغداد مثلاً، وبالمقابل، فإن تجار الفايكنج كانوا يتقايضون المسكوكات النقدية والمنسوجات والفواكه المجففة مثل التمور، وحقيقةً، فإن الفايكنج استعملوا عُملات النقد من أوروبا الغربيّة والعالم العربي، كما إن هناك آثارًا إسلامية أخرى كالقناديل

(١) العريني: تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ص٣٥٢.

الإسلامية والكاسات بنقوش عربية، وعمومًا تُعَدُّ العملات الإسلامية (دراهم الفضة) هي أول ما ظهر من العناصر في بلاد الفايكنج نحو نهاية القرن التاسع، فجلب تجار الفايكنج الفضة العباسية (نسبة إلى الدولة العباسية) بكميات كبيرة إلى الدول الإسكندنافية، وقد تم العثور على آلاف القطع منها في مناطق بحر البلطيق وروسيا(١).

إن هذا الكم الهائل الذي وجد في قبور الفايكنج له مدلولات ثلاثة:

١- حجم التجارة والعلاقات الوثيقة بين العالم الإسلامي وبين الفايكنج.

٢-كما إن هذا الحجم الهائل للتجارة المتبادلة بين الفايكنج والعرب، مع الصلات المستفيضة مع الحضارة الإسلامية لا بد من انعكاسه لغويًّا في التأثير العربي في اللغة النرويجيّة والإسكندنافية (وهم أصل مهم من أصول اللغة الإنجليزية القديمة)، فقد دخلت الكلمات العربية إلى الإنجليزية عَبْرَ النرويجية القديمة أولاً، وعبر الوسط الفرنسيّ النورمانديّ ثانيًا، والنورمانديون أصلاً هم بقايا الفايكنج الذين غزوا شمال فرنسا واستوطنوها، وبقايا الفايكنج هؤلاء صاروا الفرنسيين النورمان الذين احتلوا من بعد إنجلترا واحتلوا صقلية العربية، وشاركوا في قسم من الحروب الصليبيّة؛ واحتلوا الساحل المتوسط العربي كذلك، ومن خلالهم دخلت الكلمات العربية إلى اللاتينية ثم الفرنسية، ثم عبر الوسط الفرنسي دخلت الإنجليزية، لذا فالفرنسيون النورمان كانوا وسيطًا لعبور الكلمات العربيّة مرتين(٢).

---

(١) مجهول: عندما التقى المسلمون بالفايكنج: مقال منشور بموقع عالم المعرفة .
https://knowledge0world.blogspot.com/2017/01/vikings-and-islamic-civilization.html

(٢) مهند الفلوجي: الفايكنغ والإسلام: تاريخ منسيّ يوثقه معجم الفردوس: مقال منشور بموقع فكر بتاريخ ٢٠١٥/٦/٥م
https://www.fikrmag.com/article_details.php?article_id=69

وفي النهاية يمكن القول: إن السفارات والتجارة كانتا من وسائل التواصل الحضاري بين المسلمين والفايكنج، وفي رأيي، إنها لم تقتصر على ذلك خلال هذه الفترة القصيرة، بل امتد هذا التواصل على أيدي العلماء والفقهاء الذين أقاموا هناك، ومن أسلم من أهل البلاد، إضافة إلى التجار المسلمين أيضًا الذين كانوا يترددون بتجارتهم على تلك البلاد.

التواصل الحضاري في صقلية:

كانت جزيرة صقلية في عهد النورمانيين مستفيدة أكبر الاستفادة من الحضارة العربية بمختلف تنوعاتها، فكيف كانت حضارة العرب في صقلية النورمانية؟

تعدُّ الحضارة العربية التي قامت في جزيرة صقلية حلقةً بالغة الأهمية في تاريخ الحضارات التي شهدتها هذه الجزيرة، مثل الحضارة الفينيقية والإغريقية والرومانية، ولا تأتي هذه الأهمية من أن هذه الحضارة استمرت قائمة ومزدهرة في صقلية بعد زوال الحكم العربي منها على يد النورمان فحسب، وإنما لأنها كانت أيضًا عاملًا مهمًّا أسهم في النهضة الأوربية الحديثة، وكانت سياسة التسامح من العوامل الأساسية التي مكنت المسلمين في صقلية من إقامة هذه الحضارة التي مارسوها في حكم شعوب ذات أعراق وثقافات وديانات مختلفة، حيث سمح العرب لها بممارسة حريتها الدينية وعاداتها وقوانينها الخاصة بها، ويقول أحد رؤساء دير سانت كاترين في العاصمة الصقلية بالرمو:"إن رجال الدين المسيحيين كانوا أيام العرب أحرارًا في ممارسة واجباتهم الدينية ولم تُمس كنائسهم بسوء"(١).

ولما دخل النورمان صقلية أدهشهم ما نقله المسلمون إليها من رقي وحضارة، وحقيقة، لقد بذلوا جهدًا في ترقيتها في كل جوانب الحياة حتى بدا

(١) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع مختارات من مجلة العربي الكويتية ـ يناير ٢٠١١م

الفرق بينها وبين الدول التابعة لبيزنطة بعيدًا جدًّا، شيدوا مبانٍ عظيمة، ونشطوا وسائل التجارة، وعملوا على استصلاح الأراضي وزرعها، وأدخلوا أنواعًا من النباتات ومن الحيوانات لم يكن للأوروبيين بها عهد ولا علم، إلى جانب ذلك كله، وجدوا فنونًا راقية وأدبًا عاليًا، وعديدًا من المساجد بها حلقات التعليم، لدرجة أن ابن حوقل دهش لكثرة المساجد، في بلرم وحدها، وكانت هي العاصمة ومجتمع أهل الأدب ومنتجع طلاب العلم من سائر أنحاء صقلية، فنشاط الحركة التعليمية فيها كان سببًا في الاستكثار من المساجد يقول ابن حوقل عن كثرة المساجد:" وسألت عن ذلك فأخبرت أنّ القوم لشدّة انتفاخ رؤوسهم كان يحبّ كلّ واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه لا يشركه فيه غير أهله وغاشيته وربّما كانا أخوانًا،... وقد عمل كلّ واحد منهما مسجدًا لنفسه ليكون جلوسه فيه(١).

وفي هذه المساجد وفي المكاتب، كثر المعلمون تبدأ بتعليم الكتابة العربية والقرآن الكريم، وتنتهي بدراسات عليا في علوم كثيرة دينية وغير دينية، وهكذا تقدم ورقي في كل شيء، وحقيقة لقد كان الفرق واسعًا جدًّا بين ما وجد العرب صقلية عليه بعد خروج البيزنطيين، وبين ما وجدها عليه النورمانديون بعد خروج المسلمين، وكان النورمان على قدر من الذكاء، وقد عرفوا به من قبل، لهذا لم يفعلوا بآثار المسلمين ما فعل بها الإسبان في الأندلس بعد صقلية – بزمن طويل – فقد أفتى القساوسة بأن المسلمين رجس وآثارهم نجس لا يطهره إلا إحراقه بالنار، حتى الجدران أفتوا بهدمها وإحراقها، وبهذا تأخرت حضارة إسبانيا، أما النورمان، فرءوا الإبقاء والمحافظة على حضارة العرب، وحاكوهم واستفادوا من كل ما تركوا إلا الدين الإسلامي، فقد كانت عداوة الإسلام، وعلى الأصح، كانت الصورة التي قرّت في أذهانهم عنه مما يصعب محوه، ولكن

(١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي(ت بعد ٣٦٧هـ): صورة الأرض: دار صادر ـ أفست ليدن ـ بيروت ١٩٣٨م ج١ ص١٢٠، ١٢١.

حضارة صقلية ظلت في تقدم لمدة طويلة بعد، وظلت مظاهر الحياة العربية بادية عليها، ولو تقبل النورمان الإسلام واتخذوه دينًا لكان عهد هذا الازدهار الحضاري أطول زمنًا وأبقى(١).

لكن ما هي العوامل التي جعلت النورمان يتخذون هذا الموقف الإيجابي من حضارة العرب في صقلية؟

يرى بعض الباحثين(٢) أن الإجابة تكمن في الأسباب الآتية:

أولًا: سياسة التسامح الديني التي تبناها النورمان في حكمهم للجزيرة، فقد كان يسكن صقلية عندما استولى عليها الفايكنج (النورمان): العرب والإغريق واللاتين وغيرهم. وأدرك النورمان أن قيادة هذه الشعوب بنجاح وتحقيق التوازن بين مصالحها وتأمين سلامة الدولة، يقتضي تبني سياسة التسامح الديني ومراعاة عادات هذه الشعوب وتقاليدها.

ثانيًا: تشجيع العلم والعلماء، حيث شغف الملوك النورمان بالعلم والمعرفة، وحظي العلماء باحترامهم وتشجيعهم، فهذا الإدريسي يقول عن روجر الثاني:" اخترع من المخترعات العجيبة وابتدع من الابتداعات الغريبة ما لم يسبقه أحد من الملوك إليه، كما كان محبًا لأهل العلم ويميل إلى مجالستهم، فكان الإدريسي يأتي إليه راكبًا بغلة، فإذا صار عنده، تنحى له عن مجلسه فيأبى فيجلسان معًا(٣).

ثالثًا: إن تفوق الحضارة العربية التي ورثها النورمان عن أسلافهم عرب صقلية من ناحية وضعف حضارة النورمان أنفسهم من ناحية أخرى شكل بدوره عاملًا مهمًّا

---

(١) إحسان عباس: العرب في صقلية (دراسة في التاريخ والأدب): دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٩٧٥م صفحات متفرقة، عبد الجليل شلبي: حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوربية: مقال منشور بموقع رابطة العلماء السوريين بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١م.

https://islamsyria.com/site/show_articles/262

(٢) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع مختارات من مجلة العربي الكويتية.

(٣) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: عالم الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ج١ ص١، ٥.

شجع النورمان على احتضان حضارة العرب، فمن طبيعة الحضارة الأقوى أنها تفرض إنجازاتها، وبشكلٍ عفوي، على أصحاب الحضارة الأضعف، فحينما هاجر النورمان من نورماندیا إلى إيطالية الجنوبية في أوائل القرن الحادي عشر، كانوا مجرد مرتزقة يخدمون بسيوفهم لمن يدفع لهم أكثر من القوى السياسية والدينية المتنازعة فيها، ولكن عندما فتحوا صقلية كان أمامهم إما الإبقاء على عقلية العصابات أو بناء دولة متحضرة، فأخذوا في الخيار الثاني، وتبنوا منجزات الحضارة الأكثر ازدهارًا وتقدمًا في الجزيرة وهي الحضارة العربية.

رابعًا: كانت العلاقات الودية التي قامت بين الملوك النورمان والعرب المسلمين في صقلية سهلت انتقال الكثير من مظاهر الحضارة العربية إلى أوساط النورمان، فالتسامح والعدل واحترام عادات العرب وتقاليدهم خلق لملوك النورمان الاحترام والمحبة بين عرب صقلية، فهذا ابن الأثير يقول عن الملك النورماني رجار الثاني[١] (١١٣٠-١١٥٤م) إنه: "أكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج وأحبوه"[٢].

ومن ثم لن نستغرب عندما نقرأ أن عرب صقلية أظهروا الحزن على وفاة أكبر أبناء رجار الثاني غليالم (وليم) الأول (١١٥٤-١١٦٦م) وأن النساء المسلمات في بلرم خرجن حين يلبسن الثياب الخشنة، وقد نشرهن شعورهن وملأن الفضاء بعويلهن، ورددن المراثي الشجية[٣].

---

(١) رجار الثاني Roger II ولد سنة ١٠٩٥ م وتوفي سنة ١١٥٤ م أول ملوك النورمان بصقليّة منذ سنة ١١٣٠ م. اشتهر بفتوحاته وتحويل بلاطه إلى مركز مشع للدراسات (محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار: تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م ج١ ص٤١).

(٢) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ج٨ ص٣٤٩.

(٣) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٤٩.

كما يظهر ابن جبير إعجابه الشديد بملكهم غليالم (وليم) الثاني (١١٦٦ـ١١٨٩م) من أنه حسن السيرة ويكثر استعمال المسلمين، كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحواله والمهم من أشغاله حتى إن الناظر في مطبخه رجل من المسلمين(١).

إن هذه العلاقات الإنسانية بين الطرفين كانت إحدى القنوات المهمة في انتقال حضارة العرب إلى نورمان صقلية، كما أن العوامل السابقة مجتمعة، وغيرها، أسهمت في صياغة الموقف الإيجابي الذي اتخذه النورمان تجاه الحضارة التي ورثوها عن أسلافهم العرب. وبناءً على ما تقدم، فإنه يمكن أن نرصد بعضًا من مظاهر الحضارة العربية التي ظلت فاعلة في صقلية النورمانية في عدد من الميادين منها:

١- الميدان الإداري:

كانت الصبغة الإسلامية الإدارية ـ خلا بعض الألقاب ـ وقفًا على المسلمين، إلا إن الصبغة الإسلامية عامة امتدت أيام النورمان إلى الكثير من نواحي الحياة؛ لأن الحضارة الإسلامية كانت غالبة على الجزيرة، وفي ظلها نشأ رجار وخلفاؤه، فوجدوا أنفسهم يقتبسوها ويفيدون منها، وقد وضحت هذه الصبغة في حياة البلاط نفسه، فتشبه رجار بملوك المسلمين في الاستكثار من الجنائب(٢) والحجاب(٣) والسلاحية(٤) والجاندارية(٥) وغير ذلك وخالف عادة

(١) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير: دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ص٢٦٧.

(٢) الجنائب: قال ابن منظور: جناب الرجل: الذي يسير معه إلى جنبه، والجنائب هي الخيول التي تسير وراء السلطان في الحروب لاحتمال الحاجة إليها، (لسان العرب: ج١ ص ٢٧٦، القلقشندي، صبح الأعشى ج٤، ص ٣٨١).

(٣) الحاجب هو من يبلغ الأخبار من الرعية إلى الأمام، ويأخذ لهم الأذن منه (القلقشندي: المصدر السابق، ج ٥ ص ٤٤٩).

(٤) السلاحية: هم أولئك الذين يحملون سلاح الأمير أو السلطان (القلقشندي: المصدر السابق، ج٥، ص ٤٥٦).

(٥) الجناندار: هو الذي يستأذن على الأمراء في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل (المصدر السابق، ج٥ ص ٤٦١).

الفرنج، فإنهم لا يعرفون شيئا منها، وجعل له ديوان المظالم ترفع إليه شكوى المظلومين، فينصفهم(١)، وتصفه الوثائق العربية ويلقبه الإدريسي بالملك المعظم المعتز بالله المقتدر بقدرته(٢).

كما إنه كان يتشبه بملوك المسلمين في تفخيم أبهة ملكه وزينته، وكان يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته " الحمد لله حق حمده"، وكانت الصبغة الإسلامية في الألقاب، فلقب الأمير يطلق على ناس من غير المسلمين، وأعلى لقب أمير الأمراء وأشيعها لقب القائد للمدنيين والعسكريين على السواء، وزاد هذه الصبغة وضوحًا أن اللغة العربية كانت إحدى اللغات الثلاثة التي أقرتها الدولة في سجلاتها، والأخريان هما اليونانية واللاتينية(٣).

يتضح من ذلك أن ملك النورمان اتخذ الألقاب الإسلامية لنفسه ولدولته، كما إنه أنشأ ديوان المظالم الذي اقتبسه من المسلمين، وأبقى على الألقاب الإسلامية، وترك عادات الفرنج، وتشبه بملوك المسلمين في زينته وأبهته، وهذا دليل على انبهاره بحضارة المسلمين في صقلية.

٢- الميدان الاقتصادي:

تذكر بعض المصادر: أن الكثير من النشاطات العربية ظلت قائمة ومزدهرة في العصر النورماني، فبالنسبة إلى الزراعة، فمع أن الحروب التي دارت بين النورمان وعرب صقلية قد ألحقت أبلغ الأضرار بالزراعة والفلاحين ووسائل الري، ولكن الزراعة استمرت في نهضتها التي شهدتها أيام الحكم العربي للجزيرة، فمن المعروف أن العرب أدخلوا إليها الكثير من المزروعات مثل: (الليمون والبرتقال والقصب والأرز والنخيل والقطن والبردي .. إلخ)، كما

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨ ص٣٤٩.
(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق: ج١ ص٤.
(٣) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٤٥.

أقام العرب شبكة واسعة من الترع والقنوات التي لا تزال آثارها باقية، ولم يغير النورمان كثيرًا من النواحي الزراعية في صقلية [١].

أما التجارة، فقد ظل معظمها بأيدي العرب أيام النورمان، ورغم أن تجار المدن الإيطالية، قد حصلوا على امتيازات تجارية في الجزيرة من قبل الملوك النورمان، إلا إن ذلك لم يقلل من نشاط التجار العرب في صقلية وعالم البحر المتوسط، وأكد ابن جبير ذلك بقوله إن "الأسواق معمورة بهم وهم التجار فيها.."[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن العملة التي أصدرها الملوك النورمان في صقلية كانت متأثرة بالعملة الفاطمية في شكلها وقيمتها، واشتملت على كتابات عربية ولاتينية وإغريقية وحملت رموزًا إسلامية ومسيحية[٣].

وبالنسبة للصناعات، فكان هناك مصنع للحرير وآخر للتطريز بالقرب من القصر الملكي في بالرمو، وكان هذا المصنع يقوم بإعداد ملابس الملوك النورمان وتطريزها، ولاسيما الثياب الفاخرة التي توشى بالنقوش العربية واللاتينية، ومن الملابس التي صنعت في هذا المصنع عباءة الملك النورماني رجار الثاني (١١٣٠-١١٥٤م) التي ارتداها في حفل تتويجه ملكًا في بالرمو عام (١١٣٠م)، وكان قد صنعها نساج عربي اسمه عبد الله، وهي مصنوعة من الحرير الثقيل القرمزي رسمت عليها شجرة نخيل تحمل ثمارًا ذهبية، وعلى كل من جانبيها صورة أسد يضرب بمخلبه جملًا، وكانت الرسوم مطرزة بالذهب يحيط بها آلاف من اللآلئ وثلاث ياقوتات كبيرة، وقد كتب النساج باللغة العربية على حافة العباءة عبارات تتضمن الدعاء للملك رجار الثاني أن يكون

(١) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص٧٣، عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع مختارات من مجلة العربي الكويتية.

(٢) ابن جبير: رحلته: ص٢٧٣.

(٣) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية:

محبوبًا ويعيش في عزٍ ومجد وأن تتحقق آماله وتغمره السعادة طوال أيام حياته، كما كتب عليها مكان وزمان صنع العباءة في صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة"[١].

٣- ميدان العمارة:

ظل الفن المعماري في صقلية النورمانية يحمل الطابع العربي الإسلامي، فقد أقام الملوك النورمان في صقلية قصورًا بناها أسلافهم العرب، مثل قصر البحر العذب في بالرمو، كما شيدوا قصورًا جديدة شيدها لهم المهندسون المعماريون العرب في بالرمو على هدي الطراز العربي الإسلامي مثل قصر العزيزة الذي شيد في عهد وليام الأول وقصر القبة الذي شيد في عهد وليام الثاني، وعندما زار ابن جبير صقلية رأى قصرين من قصور العرب، التي لا تزال قائمة، بالقرب من العاصمة، وهما قصر سعد وقصر جعفر[٢].

كما استمرت المدن الصقلية تحوي المساجد والحمامات والفنادق والمباني الفخمة التي شيدت على الطراز العربي وزينت بالرخام الثمين والفسيفساء الزاهرة. بل أسهم المعماريون العرب المسلمون في تشييد الكنائس والأديرة وزينوها بالفسيفساء العربية[٣].

٤- الميدان الثقافي والعلمي:

استمرت ثقافة العرب وعلومهم في صقلية أيام النورمان، فعلى الرغم من أن المسجد قد تضاءل شأنه في العصر النورماني، وانهزمت الدراسات الدينية أمام الدراسات العلمية الأخرى، إلا إنه كان يقوم بدورٍ بالغ الأهمية في

---

(١) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٤٧، جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث: تراث الإسلام: ترجمة/ حسين مؤنس وآخرون ـ تحقيق/ شاكر مصطفى ـ عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٨٥م ج١ ص٣٥٠، ٣٥١.

(٢) ابن جبير: رحلته: ص٢٧٣، عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

(٣) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

الدراسات الدينية واللغوية والأدبية، ولما زار ابن جبير صقلية وجد المساجد فيها محاضر لمعلمي القرآن(١).

وفي عهد النورمان أصبح القصر أو الأمير هو الكعبة الكبرى التي تحوم حولها العلوم كما تحوم الآداب كما إن اللغة العربية استمرت سائدة في الجزيرة في العهد النورماني إلى جانب اللاتينية والإغريقية، بل إن عددًا من الملوك النورمان، أمثال وليام الأول والثاني، كانوا يجيدون القراءة والكتابة والتحدث بالعربية، كما ازدهرت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وكان من أبرز المترجمين يوجين الأمير الذي ترجم من العربية إلى اللاتينية بعض المؤلفات مثل كتاب (البصريات) لمؤلفه (بطليموس)، كما أسهم في ترجمة كتاب (كليلة ودمنة)، ودخلت صقلية في العصر النورماني كتب عربية كثيرة، فمثلًا استحضر الملك رجار الثاني عددًا كبيرًا من مؤلفات الجغرافيين العرب أمثال المسعودي وابن خرداذبة وابن العذري وابن حوقل واليعقوبي وغيرهم(٢).

أما العلماء والشعراء العرب المسلمون الذين ظلوا في صقلية النورمانية، وغدا لهم شأن كبير لدى الملوك النورمان، فنذكر من العلماء: ابن ظفر الذي كان عالمًا في النحو واللغة والدين وشغل منصبًا رفيعًا في الدولة النورمانية، ومحمد بن عيسى، الذي كان عالمًا بالهندسة والنجوم، وابن المعلم الذي كان عالمًا باللغة وماهرًا بالطب وغيرهم. أما الشعراء الذين عاشوا في ظل النورمان ونظموا قصائد المديح لهم فنذكر منهم: عبد الرحمن الأطرابنشي وعبد الرحمن البثيري، وعمر بن حسن وسراج بن أحمد وابن بشرون وغيرهم، وتجدر الإشارة إلى أن الشعر الغنائي الذي ساد صقلية في العصر النورماني كان ممزوجًا بالأغاني العربية المنتشرة بين العرب المسلمين في بالرمو (٣).

---

(١) ابن جبير: رحلته: ص٢٧٣، إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٥٧.
(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق: ص٤، ٥، إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.
(٣) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

أما علم الجغرافيا فكان من أبرز العلوم التي ازدهرت على أيدي العرب في صقلية النورمانية. فمن المعروف أن رجار الثاني كان قد دعا إلى بلاطه الجغرافي المغربي الشريف الإدريسي، وشمله بكل مظاهر التكريم، وأنجز الإدريسي برعاية هذا الملك وتشجيعه ثلاثة إنجازات علمية وهي:

أ– رسم صورة الأرض في دائرة من الفضة ووضع أقسام الأقاليم عليها.

ب– رسم مجموعة من الخرائط للعالم على الورق تفوق في دقتها ووضوحها خريطة بطليموس الشهيرة.

ج– ألَّف كتابه المعروف وهو "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وهو الذي عرف بالكتاب الرجاري، وهو شرح لما ورد في المجسم الفضي الذي نحتت عليه خريطة العالم. كما وضع الإدريسي كتابًا آخر في الجغرافيا للملك وليام الأول بعنوان "روض الأنس ونزهة النفس"(١).

كما حدث تطور كبير في تنظيم مهنة الطب في صقلية النورمانية بتأثير مباشر من الحضارة العربية، كما أن معظم أطباء الملوك النورمان كانوا من الأطباء العرب المشهورين ببراعتهم العلمية والتنظيمية، وقد أصدر رجار الثاني أمرًا يلزم فيه جميع الأطباء في المملكة بالحصول على إذن أو ترخيص خاص من موظف مختص وإلا تفرض عليهم عقوبات قاسية كالحبس ومصادرة الأموال، وقد أُدخل هذا النظام من صقلية إلى الغرب الأوربي. وكان أساسًا صالحًا لإعداد طبقة من الأطباء الأكفاء(٢).

كان هذا النظام الإصلاحي قد فعله قبل ذلك الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥ـ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ـ٩٣٤م) في مهنة الطب، فقد أصدر عام (٣١٧هـ/٩٣١م) قانونًا بتحريم ممارسة مهنة الطب على أي طبيب ما لم يخضع لامتحانٍ في

(١) إحسان عباس: العرب في صقلية: ص١٦١، عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

(٢) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

الطب أمام لجنة من الأطباء برئاسة طبيبه الخاص سنان بن ثابت بن قرة، وكان من ينجح في هذا الامتحان يّزود بترخيص أو إذن خطي يسمح له بممارسة المهنة، وكان سبب ذلك أَن غَلطا جرى على رجل من الْعَامَّة من بعض المتطببين فَمَاتَ الرجل[١].

ولا شك أن رجار الثاني قد علم بما فعله الخليفة من إصلاحات طبية عن طريق بعض المسلمين، فأراد أن يسلك مسلكه.

٥- أثر المرأة العربية في العهد النورماني:

لعبت المرأة العربية دورًا حضاريًّا في المجتمع النورماني، فأزياؤها انتشرت بين نساء النورمان، ويؤكد هذه الحقيقة ابن جبير بقوله: "وزي النصرانيات في هذه المدينة (بالرمو) زي نساء المسلمين، فصيحات الألسن ملتحفات منتقبات، خرجن في هذا العيد المذكور" (وكان ذلك عيد ميلاد السيد المسيح) وقد لبسن ثياب الحرير المذهب والتحفن اللحف الرائعة وانتقبن بالنقب الملونة وانتعلن الأخفاف المذهبة وبرزن لكنائسهن حاملات جميع زينة المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر"[٢].

كما إن الكثير من النساء المسيحيات في البلاط النورماني اعتنقن الإسلام بتأثير من المسلمات اللواتي يعملن في البلاط"[٣].

وفي النهاية يمكن القول: أن الحضارة الإسلامية في صقلية أثرت في النورمان أكثر مما تأثرت بحضارتهم، وكانت نواة وأساسًا لحضارة النورمان التي

---

(١) ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء: تحقيق/ نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ص٣٠٢.

(٢) ابن جبير: رحلته: ص٢٧٤.

(٣) عادل زيتون: الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور.

قامت على أرضها، وقد كانت حضارة النورمان حضارة ضعيفة لم تستطع الصمود أمام الحضارة الإسلامية؛ وذلك لأنها حضارة إنسانية خالدة كخلود الرسالة السماوية، وقد أصبحت صقلية معبرًا من المعابر التي انتقلت منها الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

يقول مونتجمري اعترافًا بفضل الحضارة الإسلامية على أوربا: " نحن – الأوروبيين – نجهل الفضل الذي تدين به ثقافتنا للإسلام، وفي بعض الأحيان، نستخف بمدى التأثير الإسلامي في تراثنا وأهميته، وفي أحيان أخرى نتجاهله كليًا، ولبناء علاقات جيدة مع العرب والمسلمين علينا الاعتراف بهذا الفضل كاملًا، فإنكاره ليس إلا كبرياء زائفًا"(١).

أما عن التواصل بين النورمان وأوربا، فقد أثر الغالبون والمغلوبون في بعضهم البعض تأثيرًا باقيًا، لا بسبب اختلافهم وتباينهم في الصفات بل بسبب تشابههم فيها.

(١) وليام مونتجمري وات: تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى: ترجمة/ سارة إبراهيم الذيب ـ جسور للترجمة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٦م ص١٤.

نتائج البحث

بعد إلقاء الضوء عن هذا الموضوع: القرصنة وأثرها في التواصل الحضاري خلال العصور الوسطى الفايكنج (النورمان) أنموذجًا، فإن الباحث قد توصل إلى بعض النتائج منها:

– أن القرصنة هي اعتداء مسلح يقوم به بعض القراصنة على السفن بقصد النهب والسلب،

أو تحقيق منفعة اقتصادية أو سياسية.

– تم استخدام اسم القرصنة لأول مرة كان منذ حوالي (١٤٠) سنة قبل الميلاد، ثم مرت بعد ذلك بعدة مراحل عبر العصور المختلفة.

– كان الفايكنج (النورمان) من أبرز القراصنة في العصور الوسطى.

– كانت هناك عدة دوافع نفسية، واقتصادية، واجتماعية، سياسية دفعت الفايكنج للقيام بأعمال القرصنة خلال العصور الوسطى.

– هاجم الفايكنج (النورمان) سواحل أوربا واعتدوا على بعض الدول الأوربية كـ (فرنسا، انجلترا، أيرلندا، وغيرهم)، وأحرزوا عليهم عدة انتصارات

– أسس القراصنة الفايكنج (النورمان) لهم بعض المقاطعات في أوربا كنورمنديا.

– قام الفايكنج (النورمان) بعدة غارات على الأندلس الإسلامية منذ عام (٢٣٠هـ/٨٤٤م) خلال عصر الإمارة، وحتى عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م) خلال عصر ملوك الطوائف، وقاموا بتخريب بعض المدن والاستيلاء على بعض الغنائم والأسرى.

ـ لم يحقق الفايكنج (النورمان) أهدافهم في الأندلس مثلما فعلوا في أوربا؛ لأنها كانت البقعة المضيئة في أوربا في ذلك الوقت وتحت حكم الدولة الأموية القوية التي اهتمت بكل شيء من علوم وفنون، إضافة إلى يقظة حكام الأندلس

واهتمامهم بالجيش وبالبحرية الإسلامية، ولذلك لم يحقق الفايكنج من حملاتهم عليها سوى بعض الغنائم التي استولوا عليها.

– استطاع الفايكنج (النورمان) الاستيلاء على صقلية الإسلامية عام (٤٨٤هـ/١٠٩١م) وأقاموا فيها دولة استمرت حتى عام (٥٩١هـ/١١٩٤م).

– أثبت البحث أن للقرصنة أثر كبير في التواصل الحضاري بين الدول وبين الحضارات المختلفة.

فمع أوربا المسيحية:

– كان هناك تواصل حضاري بين الفايكنج (النورمان) ودول أوربا، فقد أثرت حضارة الفايكنج وتأثرت بالحضارة الأوربية التي هذبت طبائعهم وعاداتهم، فاعتنقوا المسيحية وصاروا حماة لهذا الدين، واعتبروا أنفسهم أتباعًا للكنيسة، وشغفوا ببناء الكنائس والأديرة، كما شاركوا في الحروب الصليبية دفاعًا عن دينهم.

– تحول الفايكنج (النورمان) من قراصنة كل هدفهم السلب والنهب إلى الاستقرار وإقامة حكم ذاتي لهم، ومنذ ذلك الوقت أصبح لهم دول يحكمونها كنورمنديا وصقلية، وبالتالي راحوا يتعرفون على الحضارات التي كانت قائمة في هذه الدول قبل قدومهم إليها.

أما مع الدول الإسلامية:

– كان هناك تواصل حضاري بين المسلمين والفايكنج (النورمان) عن طريق بعض السفارات التي أرسلت بين الطرفين كسفارة ابن فضلان التي أرسلها الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٤م)، وسفارة يحيى الغزال التي أرسلها الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م).

– أكد البحث أنه بعد استيلاء الفايكنج (النورمان) على صقلية، فقد تأثروا بالحضارة الإسلامية في كل شئ، وحافظوا عليها في شتى الميادين الإدارية،

والاقتصادية، والمعمارية، والثقافية والعلمية. حتى أن المرأة العربية المسلمة أثرت في المرأة النورمانية.

– أكد البحث أن حضارة الفايكنج (النورمان) كانت ضعيفة أمام الحضارة الإسلامية؛ في صقلية، ولذلك فإنها أثرت في النورمان أكثر مما تأثرت بحضارتهم، وكانت نواة وأساسًا لحضارة النورمان التي قامت على أرضها.

– أكد البحث أن صقلية كانت معبرا من معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا.

– أثبت البحث أن حضارة الفايكنج (النورمان) لم تستطع الصمود أمام الحضارة الإسلامية وذلك لأنها حضارة إنسانية خالدة كخلود الرسالة السماوية، وقد أصبحت صقلية معبرًا من المعابر التي انتقلت منها الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

– أكد البحث أن الفايكنج (النورمان) أصبح لهم حضارة خاصة بهم كانت مزيجًا من الحضارات الأخرى الإسلامية والأوربية، ولذلك راحوا يعملون على ازدهارها ونشرها، مع احتفاظهم ببعض سماتهم الأولى كالحروب والتجارة والتنظيم الاجتماعي خاصة في أوربا المسيحية.

– أظهر البحث أن الفايكنج (النورمان) أصبحوا أصحاب حضارة مستحدثة أثرت وتأثرت بغيرها من الحضارات الأخرى لاسيما الحضارة الأوربية المسيحية، والحضارة الإسلامية، وأصبح هناك تواصل حضاري مع هذه الحضارات.

وختامًا، فإني أسأل الله القبول وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ):

الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: عالم الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ):

عيون الأنباء في طبقات الأطباء: تحقيق/ نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ):

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تحقيق/ إحسان عباس ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ، تونس الطبعة: الأولى ١٩٨١م.

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ):

المسالك والممالك: دار الغرب الإسلامي ـ١٩٩٢م.

- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ):

رحلة ابن جبير: دار ومكتبة الهلال ـ بيروت.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي(ت بعد ٣٦٧هـ):

صورة الأرض: دار صادر ـ أفست ليدن ـ بيروت ١٩٣٨م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد(ت ٨٠٨هـ):

العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: المحقق: خليل شحادة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي (ت٦٣٣هـ):

المطرب من أشعار أهل المغرب: تحقيق/ الأستاذ إبراهيم الإبياري وآخرون – دار العلم للجميع ـ بيروت – لبنان ـ ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت. نحو ٦٩٥هـ):

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال – دار الثقافة – بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الثالثة ١٩٨٣م.

- ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس (ت بعد ٣١٠هـ):

رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة: دار السويدي ـ أبو ظبي الطبعة: الأولى ٢٠٠٣م .

- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ):

تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق/ إبراهيم الإبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ):

معجم البلدان: دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة: الثانية ١٩٩٥م .

ثانيًا: المراجع العربية والمقالات:

- إبراهيم مصطفي وآخرون:

المعجم الوسيط: تحقيق المجمع اللغوي ـ تركيا ـ المكتبة الإسلامية الطبعة الثانية ٢١٣٩هـ.

- إحسان عباس:

العرب في صقلية (دراسة في التاريخ والأدب): دار الثقافة ـ بيروت – لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٩٧٥م.

- أحمد عطية الله:

القاموس السياسي: دار النهضة العربية ـ القاهرة١٩٦٨م.

- أينهارد:

سيرة شارلمان: ترجمة/ عادل زيتون ـ دار حسان ـ دمشق ـ الطبعة الأولي ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- بسام العسلي:

سلسلة جهاد شعب الجزائر : دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

- جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث:

تراث الإسلام: ترجمة/ حسين مؤنس وآخرون ـ تحقيق/ شاكر مصطفى ـ عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٨٥م.

- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون:

تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: دار الكتاب المتحدة – بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى ٢٠٠٠م.

- سالم بن عبد الله الخلف:

نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس: الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- ستيفان رانسيمان:

تاريخ الحروب الصليبية: ترجمة/ السيد الباز العريني – القاهرة – الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- سعيد عاشور:

تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٦م.

- السيد الباز العريني:

تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان –

- شريف عبد العزيز:

هجوم الفايكنج على العالم الإسلامي: مقال بموقع ملتقى الخطباء.

- طه خضر عبيد:

الحضارة العربية الإسلامية: دار الكتب العلمية – بيروت ـ لبنان.

- عادل زيتون:

الحضارة العربية في صقلية النورمانية: مقال منشور بموقع مختارات من مجلة العربي الكويتية – يناير ٢٠١١م.

- عبد الجليل شلبي:

حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوربية: مقال منشور بموقع رابطة العلماء السوريين بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١م.

- عبد الرحمن الحجي:

التاريخ الأندلسي: دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

- عمر عبد المنعم إبراهيم:

الفايكنج والإمبراطورية الكارولنجية: رسالة ماجستير ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ـ٢٠٠٩م.

- فيشر:

تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ترجمة / محمد مصطفى زيادة . السيد الباز العريني ـ دار المعارف . القاهرة ـ الطبعة السادسة.

- كافين رايلي:

بحث بعنوان العنف والانتقام: ترجمة/ عبد الوهاب محمد وآخرون ـ مجلة عالم المعرفة ـ مجلس الثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٤٠٥هـ.

- كرزسيتوف ويلزينسكي:

تاريخ القرصنة، الموقع على شبكة الإنترنت: بعنوان

http://www.Pitatesinf.com/detaif–phparliele–id .

- مايكل كرايتون:

أكلة الموتى عن مخطوطة ابن فضلان: دار الهلال – الطبعة الثانية١٩٩٩م.

- مجهول:

عندما التقى المسلمون بالفايكنج: مقال منشور بموقع عالم المعرفة.

- محمد مرسى الشيخ:

تاريخ أوربا في العصور الوسطى : دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ ١٩٩٠م.

الممالك الجرمانية : دار الكتب الجامعية . الإسكندرية . ١٩٧٥م.

- مريم آيت أحمد:

مستويات الحوار الحضاري: نقلا عن: مجلة حراء العدد: ٣٢ لسنة ٢٠١٢م.

- ممدوح حسين:

الحملات الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري: دار عمار ـ عمان ـ الأردن ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- مهند الفلوجي:

الفايكنغ والإسلام: تاريخ منسيّ يوثقه معجم الفردوس: مقال منشور بموقع فكر بتاريخ ٢٠١٥/٦/٥م.

- موريس بيشوب:

تاريخ أوربا في العصور الوسطى: ترجمة/ علي السيد علي ـ المجلس الأعلى للثقافة –. الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

- وِل ديورَانت:

قصة الحضارة: ترجمة/ زكي نجيب محمُود وآخرين ـ دار الجيل ـ بيروت – لبنان ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- وليام مونتجمري وات:

تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى: ترجمة/ سارة إبراهيم الذيب ـ جسور للترجمة والنشر ـ بيروت – الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

المراجع الأجنبية

- Allen Mawer:

The Vikings camb. med hist .

- Haskins:

The Normans in European History , New york 1959

- Oman:

the Dark eges : London 1962.

- Souza, Philip:

Ancient Rome and the Pirates (2000).